

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

تصدرها
وزارة الثقافة والإرشاد القومي

الإدارة
٢٧ شارع عبد الخالق ثروت
بريد محمد فريد - القاهرة

الاشتراكات
١٥٠ قرشا سنويا
الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ١٠٢٥ - ١٧ ربيع الآخر سنة ١٣٨٣ هـ - ٥ سبتمبر سنة ١٩٦٣ م - السنة الحادية والعشرون

الفهرس

مدرسة الرسالة

بقلم: أحمد حسن الزيات

طلب الى محرر هذه المجلة ان اكتب عن مدرسة « الرسالة » . ولا يملك الزيات أن يرفض طلبا « لقافلة الزيت » ، وربما كان من الأفضل والأعدل أن يكتب هذا الفصل غيرى ، ولكنني سأتناسى انى كنت مديرا لهذه المدرسة لأكتب ما لا ريب فيه ولا بد منه لتاريخ الأدب .

ظهرت مجلة « الرسالة » فى يناير من عام ١٩٣٣ على فترة من المجلات الادبية الجدية فملأت فراغا وسدت حاجة . كانت مجلتا (البلاغ الاسبوعى) و (السياسة الاسبوعية) قد غابتا من سماء الادب فتركتا بعدهما ظلاما ينقطع به الطريق ويضل فيه الدليل ، وكانت المجلات الخفيفة الفكهة قد حاولت ببصيصها الخافت ان تدل على نفسها فى هذا الظلام الحالك فلم تستطع ، لان الوعى الادبى كان قد جاوز طور الحداثة فلم يعد يرضى باللذة دون الافادة ولا بالاثارة دون الانارة ، فعاف هذا اللون من الغذاء التافه وظل طاويا ينتظر من القرائح الناضجة ان تجود له بغيره .

* نشرت هذا المقال مجلة (قافلة الزيت) في عدد أغسطس من هذه السنة فرأينا من الخير ان ننقله عنها خدمة لتاريخ الصحافة في الأدب الحديث .

وكان الادباء الموهوبون من الكهول والشباب يعانون الكبت الفكرى من طول ما كظموا على قرائحهم منذ شق عليهم ان يجدوا متنفسا او مفيضا فى مجلة يكون لها مستوى أرفع ورسالة اعلى وهدف ابعد .

وكان العالم العربى على اثر خروجه من جهالة الترك الى ضلالة الاستعمار يشكو شتات الوحدة وضعف القومية وذل التبعية ، فهو يريد ان يتعرف بعضه الى بعضه ، وينضم قاصيه الى دانيه ، ويرتبط حاضره بماضيه ، عن طريق اللغة الواحدة والكيان المتميز والوطن المستقل والادب الموروث والتاريخ المشترك والأمل الحافز — مجتمعا كل اولئك فى مجلة تترفع عن الاقليمية ، وتعتز بالعروبة والعربية ، وتساير ركب الثقافة والمدنية ، وتضطلع بعبء السفارة الفكرية ، بين المصرى والمغربى والجزائرى والتونسى والسودانى والفلسطينى والسورى والسعودى واللبنانى والعراقى ، فكانت تلك المجلة المرجوة التى قربت البعد ووشجت القرابة وجمعت الشمل وسهلت الوحدة وحققت الأمل هى (الرسالة) . لذلك لم تكد تظهر وتذيع حتى اقبل عليها عشاق الأدب وطلاب المعرفة وكتاب الطليعة من جميع اقطار العروبة ليخرجوا فى ضوئها الى النور ، ويسيروا من طريقها الى الظهور ، وينشروا على صفحاتها ما انطوى فى صدورهم طويلا من معانى القومية وامانى الحرية . وكانت الرسالة قد وضعت منهاجها على قاعدة ثابتة من مزج الدين بالدنيا وربط القديم بالحديث ووصل الشرق بالغرب باللغة الفصحى والاسلوب الصحيح والفكر المتزن ، فلم تنشر العامى ولا الركيك ولا المنحرف ، واتبع كتابها هذا النهج وانتحوه حتى وقف بهم عند الغاية المقصودة فتعارفوا على بعد الدار ، وتآلفوا على انقطاع السبب ، وتميزوا على نظرائهم من سائر الادباء بالتعبير العربى الخالص والتفكير الاسلامى الصادق والاتجاه التقدمى المستقيم ، فتكونت منهم مدرسة فى الادب كان لها الاثر البالغ فى انعاش اللغة وانهاض الاسلوب فى المقالة والقصيدة والقصة والبحث والنقد والترجمة . كان أتباع هذه المدرسة كأعضاء الاسرة الواحدة تجمعهم آصرة الحب ، وتؤلف بينهم وحدة الهوى ، فاذا تدانوا ترآءوا بالعين ، واذا تباعدوا تلاقوا بالروح . ولا يزالون بعد احتجاب «الرسالة» اخوان صدق والافمودة . وكان المقيمون منهم فى القاهرة يجتمعون مرتين فى الاسبوع : مرة فى ندوة « الرسالة » مساء الاثنين ومرة فى « لجنة التأليف والترجمة والنشر » مساء الخميس . وكان اجتماعهم فى المرتين اجتماع قلوب تنبض بالعاطفة ورؤوس تشع بالفكر والسنة تجادل بالمنطق ، ثم لا يلبث ما تشاجر من هذه الاحاديث ان يرتسم على وجه « الرسالة » فى بحث او مقالة .

كان من اساتذة هذه المدرسة العقاد وطه حسين والرافعى واحمد امين والبشرى والمازنى وشكرى والحكيم والنشاشيبى وعبد الوهاب عزام واحمد زكى وفريد ابو حديد ومحمد عوض محمد والعبادى والغمراوى ومحمود شلتوت والمدنى والزهاوى والرصافى والمغربى والخولى ومصطفى عبدالرازق .

وكان من خريجيها والكاتبين فيها محمود الخفيف وسعيد العريان ومحمود الشرقاوى والطنطاوى وانور العطار والافغانى ومحمود شاكر وسيد قطب وامجد الطرابلسى وعلى محمود طه ومحمود حسن اسماعيل وعباس خضر وانور المعداوى ونجيب محفوظ ومحمود البدوى وزكى نجيب محمود ومحمود ابو ريه وابو القاسم الشابى والتيجانى ويوسف بشير وعبد الرحمن الخميسى وفخرى ابو السعود وعبد الفتاح البارودى وعبد القادر الناصرى وكامل حبيب وابراهيم الوائلى وابراهيم العريض ودرينى خشبة وعبد المنعم خلاف والزحلاوى وبشر فارس وصلاح الدين المنجد وعدنان مردم بك ومحمد رجب البيومى وكامل السوافيرى وعمر حليق ، وآخرون منهم لم يكتبوا كثيرا فغابت اسماؤهم عن الذاكرة .

اما الذين تأثروا بها وتعصبوا لها من طريق القراءة فهم الوف الالوف من بنى عدنان ، كانوا يرتقبونها فى كل اسبوع ارتقاب المحب الوامق لقدوم الرسول المبشر ، ولا يزالون يفتقدونها فى كل مشروع افتقاد السائر الحائر لهداية الدليل المجرب . ولم يحدث فى تاريخ الصحافة قبل الرسالة ان مجلة احتجبت عن قرائها ثم ظلوا يهفون اليها ويتحسرون عليها ويتمنون عودتها عشر سنين كوامل ! وسر ذلك ان صفحاتها كانت ملتقى الاذهان لأمة متفرقة ، وان مدرستها كانت مصدر التوجيه الى وحدة مرجوة ، وان سياستها كانت واضحة الخطة لغاية مقصودة ، وان طريقتها كانت موضع الرضا من الشيوخ الذين يميلون ببرودهم الى المحافظة ، ومن الشباب الذين ينزعون بحرارتهم الى التجدد .

ومصداق ذلك ان مدرستها لم تنحرف ابدا بلغة القرآن وادب العرب ، وهما وليدا الشمس المشرقة والجو الصافى ، الى تلك المذاهب الشاذة التى ابهمتها العقد النفسية والجو الغائم كالرمزية والوجودية والسريالية وعلم جرا الى اللامعقولية ، وانما ظلت على الطريق الاوسط تعتقد ان الادب رسالة ، وان الرسالة بلاغة ، وان البلاغة بيان ، وان البيان وضوح ، وان الوضوح فهم ، وان الكلام الذى لا يترجم الا بالتخمين والتاويل يختلط مدلوله فى كل ذهن ، ويختلف اثره فى كل نفس . ومثل هذا الكلام الذى يجافى منطق اللغة وينافى طبيعة البيان يكون بهذيان المحموم اشبه ، وفى اصوات العجماوات ادخل .

كانت مدرسة الرسالة تنظر من عل الى هذه البدع والاضاحيك يستوردها النشء المتأدبون من مشعوذى الادب الغربى يريدون بها الاغراب والحذلة والظهور ، فتحاول ان تردهم الى الجادة بمنطق العقل وتقول لهم ان هذه الاساليب الملتويةلم تلهمها طبيعة ولم توجدها ضرورة وانما هى عبث من العبث سوله الطبع المنحرف والعقل المريضلعبقريات جامحة فابتدات بكتابة ما لا يفهم ثم انتهت الى كتابة مالا يعقل ، والبدعة تنتقل من المنحرف الى المنحرف فيكون المذهب ، كما تنتقل العدوى من المريض الى الضعيف فيكون الوباء . ومما حبب «الرسالة» الى النفوس انها كانت تعالج مادية العلم بروحانية الدين، وتحارب فردية الاقطاع بعدالة الاسلام ، وتعنى باعداد القادة من الخاصة قبل عنايتها باعداد الجند من العامة . وتحاول اصلاح المجتمع باصلاح العقيدة واصلاح العقيدة باصلاح الازهر .

وجملة القول فى مدرسة«الرسالة »انهاانشات جيلا من الادباء تزعم النهضة الفكرية بحق ، والفت موسوعة فى عشرين مجلدا من آداب العرب وعلوم الشرق ، وقادت ثورة النفوس المؤمنة بالاصلاح على الفساد والاستبداد والحزبية والاقليمية والتخلف ، حتى قرت فى الاذهان معانى الحرية والديمقراطية والعدالة والقومية واصبحت من مآرب الافراد ومطالب الشعوب تجيش فى صدورهم أملا ، وتظهر فى جهادهم عملا ، وتضطرب فى نفوسهم حاجة .

احمد حسن الزيات

***

والرسالة العائدة ستصل ما انقطع من جهادها فى هذا الطريق الذى اوفى بها على هذه الغاية .

أكلة التفاح

للدكتور محمد أحمد خلف الله

لم يكن الوحيد من بين الناس أجمعين الذى حدثت له هذه الواقعة . فلطالما حدثت لأناس من قبل ، ولطالما حدثت لأناس من بعد ـ لكنه كان الوحيد من بين كل أولئك الذى تمت على يديه المعجزة .

لقد حدثت هذه الواقعة لأناس كثيرين من الشرق ومن الغرب . لكنهم لم يأبهوا لها ، ولم يهتموا بها ، ولم يقفوا عندها الوقفة التى تدرك السر وتعرف الحقيقة . اما هو فقد وقف وأطال الوقوف ، واهتم واكثر من الاهتمام ، واخذ يسال نفسه السؤال تلو السؤال ، ويجيب عن اسئلته الاجابة تلو الاجابة ، وظل فى هم مقيم حتى كشفت له الحقيقة عن نفسها وكانت المعجزة .

ان الثمرات تسقط دائما من أعلى الشجرات . تسقط امام اعين الناس على اختلاف اجناسهم والسنتهم والوانهم . لا يحول بينها وبين السقوط حائل من زمان أو مكان . ومضى الناس جميعا على أن هذه الثمرات الساقطة من نضج ليست الا الرزق الحلال الذى ساقه الله اليهم ليكون منه طعامهم والشراب . ومضى الناس أيضا على أن يلتهموا هذا الزاد الشهى ، وأن يحيلوه الى عنصر آخر كريه الرائحة يقذفون به الى خارج بطونهم . أما هو فلم يفسر هذا التفسير ، ولم ينظر الى التفاحة التى سقطت عليه ، أو بين يديه ، نظرته الى طعام أو شراب . وانما نظر اليها على أنها واقعة يجب التفكير فيها ، والتدبير فى أمرها . ومن هنا راح يسأل نفسه ، وراح يبحث عن السر المجهول فى هذا السقوط . ولم يزل هذا شأنه حتى كانت الحقيقة التى أحدثت ثورة علمية .

لقد اكتشف نيوتن قانون الجاذبية من هذه الواقعة التى حدثت أمام بصره وبصيرته . وحدد نيوتن بهذا الكشف العلاقة بين الاشياء بعضها وبعض ، وبين الارض والسماء ، وبين الاجرام السماوية بعضها وبعض ، وأحدث ثورة علمية فى كثير من الميادين ، وقاد الى تقدم حضارى اعترفت له بالقيادة فيه ملايين وملايين .

ترى لماذا اهتدى نيوتن الى ما لم يهتد اليه غيره ؟ او ترى لماذا لم يهتد احد من قبل الى مثل ما اهتدى

اليه نيوتن !

لقد سمعنا من قبل ، ومن أناس عديدين ، أن الصدفة وحدها هي التي قادت نيوتن الى ذلك الاكتشاف العلمي الخطير • وصدقوني حين أقول لكم : انى لا أجد تعليلا أسخف من هذا التعليل فى مثل تلك الميادين العلمية التى لا تؤمن الا بالتجربة وسيلة ، وبالقاعدة دليلا ، وبالقانون برهانا – على صحة ما تذهب اليه •

ان الصدفة قد تقف عند حدود سقوط التفاحة من أعلى الشجرة على رأس نيوتن ولكنها لا تمضى الى أبعد من ذلك فى الكشف عن هذه الحقيقة العلمية .. وليس أدل على ذلك من أن هذه الصدفة قد تكررت ، ولا تزال تتكرر ، فلم يقف سقوط الثمر من أعلى الشجر فى أى وقت ، وفى اى مكان ، انه يحدث فى كل لحظه • وهو حين يحدث لا يوحى لانسان ، ولا يكشف له عن سره ، مثل ما فعل مع نيوتن •

ان رأس نيوتن هي التى تحمل الاجابة • ان عقله المفكر ، واستعداده العلمى الطيب ، والمناخ الثقافى الذى كان يعيش فيه ، ان كل ذلك هو الذى تفاعل مع هذه الواقعة ، وهو الذى أسبغ عليها الصفة العلمية ، وهو الذى أحالها الى قانون علمى يعرف بقانون الجاذبية •

والآن نطرح على أنفسنا هذا السؤال • هل من بين رجال العلم والفكر فينا من تسمو به همته وثقافته ، الى الوقوف عند واقعنا ومشكلاتنا ، مثل تلك الوقفة التي وقفها نيوتن مع تفاحته ، بحيث ينتهى الى قاعدة علمية ، أو نظرية فلسفية ، أو تفسير صحيح لهذا الواقع ، وحلول مستقيمة لمشكلاته • أو انهم جميعا من آكلة التفاح ؟ اى من الذين يمرون بالاحداث وهم عنها معرضون • أو تمر بهم الاحداث وهم عنها لاهون • ؟

أخشى أن أقول ان معظمنا من آكلة التفاح •

أخشى أن أقول انه ليس بيننا اليوم من يمكنه أن يدعى أنه صاحب نظرية فلسفية أو اكتشاف علمى أو اختراع حضارى أو أن له موقفا من الحياة •

اننا جميعا نعتمد على غيرنا أكثر من اعتمادنا على أنفسنا • ومن هنا اضطربت الحياة العلمية فى معاهدنا وجامعاتنا • واضطربت الحياة الفكرية فى كتبنا ، ومجلاتنا ، وصحفنا • وتعقدت الامور فى أيدينا ، وكثرت المشكلات من حولنا •

ان رصيدنا الثقافى يكتنفه الغموض ، وتكتنفه الفوضى • انه يوحى بالبلبلة الذهنية • وليس بخفى أن من يرتضى الفوضى والبلبلة لايمكنه أن يفهم نفسه ، أو يجد حلولا لمشكلاته فضلا عن ان يكون صاحب رسالة يهتدى بها ، ويهدى بها العالم •

لقد كان العقل العربى فى يوم من الايام عقلا شخصيا منتجا • عقلا خالقا مبدعا ، له فى كل ميدان أثر وفى كل واد تجربة • ولقد ساهم هذا العقل فى الحضارة الانسانية وفى التراث البشرى ، وقاد الأمة العربية أولا وبعض الامم الاخرى الى طريق السعادة ، فحررها من الظلم والطغيان وأكسبها من القيم الروحية والقيم الخلقية ما جعل العدالة اصلا من أصولها فى حياتها العادية • وما جعل المساواة أساسا من أسسها الاجتماعية والقانونية • وما جعل الحرية الفكرية المنار الذى يهتدى به كل انسان فضلا عن أن يكون عالما أو مفكرا •

لقد كان العقل العربى فى يوم من الايام عقلا قائدا فما باله اليوم اصبح عقلا مقودا • عقلا متخلفا ومتأخرا • عقلا لا ينهض بنفسه وانما ينهض بغيره ، ويستجلب حلول مشكلاته من الخارج كما يستجلب الآلات والاشياء المادية سواء بسواء •

لقد استحدثنا من المؤسسات العلمية والثقافية الشيء الكثير • استحدثناها من أجل أن ينشط الفكر العربى ويقوم بدوره فى بناء الحياة الجديدة على أسس علمية ، ولكنا لا نزال بعيدين عن المشاركة فى خلق حضارة عالمية •

ان رصيدنا الثقافى لم يستكمل بعد كل القيم الثقافية السليمة التى يمكنها أن تدفع الحياة فى المجتمع العربى دفعا قويا • فلا يزال فى رصيدنا النقد الزائف ، ولا يزال فيه النقد الضئيل القيمة الذى لا يسمن ولا يغنى • وكم نتمنى أن يصبح هذا الرصيد الثقافى قويا ، متينا ، باعثا على النهضة ! دافعا الى التقدم •

يقولون ان أهم ما يقاس به الفرد أو المجتمع أو الحضارة هو مقدار ما يتضمن كل منها من قيم عقلية ، وخلقية ، وروحية • هذه القيم هى لب الحياة البشرية بها يمتاز الانسان عن الحيوان ، وبقوتها يصمد للعواصف والنكبات ، وبتراكمها الايجابى تبنى الحضارة ويرتفع العمران •

ويقولون أيضا ان أعظم المشكلات التى تواجهنا ليست فى قلة الخبرات الفنية ، وليست فى نقص الآلات الميكانيكية ، وليست فى شدة احتياجاتنا للاموال اللازمة لتنمية مجتمعنا ، ولكنها فى شيء آخر فى قدرتنا على الاستجابة الثقافية للحضارة المعاصرة

ونحن استنادا الى كل ما تقدم نقول بأن المرحلة التى نمر بها ليست الا مرحلة الوعى الثقافى . الوعى بكل ما هو كائن ، والوعى الذى يقود الى ما يجب أن يكون .

اننا بغير الوعى الثقافى نعجز عن المضى فى الحياة ، فمشكلاتنا جميعها من اقتصادية الى سياسية الى اجتماعية ليست فى حقيقتها الا مشكلات ثقافية . والذين يفصلون بين الثقافة وبين الاقتصاد والسياسة ليسوا الا سطحيين .

***

ان هذه الميادين انما تتداخل تداخلا عميقا فلا يتحكم الاقتصاد وحده فى علاقاتنا الاجتماعية وفى وعينا كما تزعم الماركسية لأن الانسان ليس مجرد مستهلك ومنتج وانما هو انسان قبل كل شىء وبعد كل شىء . انه انسان وان تكن انسانيته الحقيقية لا تبدأ وتأخذ مظهرها الانسانى الا عندما يتخطى عتبة الحاجات الضرورية ويعلو فوق عالم الضرورات . ان ما يقلق فى هذا الأمر هو أن يحول البؤس دون الانسان أن يكون انسانا .

والسياسة كذلك لا تنفصل عن الثقافة لأن العلاقات بين الجماعات انما تقوم على ارتباط المصالح الاقتصادية والتجاذب الثقافى .

واذا كان الأمر كذلك فقد أصبح من الواجب علينا اذا أردنا حقا ان ندرك كنه هذا العالم الذى نعيش فيه أن ننفذ الى ماوراء السياسة والاقتصاد . الى الدوافع الاولى التى تحرك هذا العالم وتكيف حياته بكاملها .

هذا الفهم الذى نريد ، لا يكون الا على أساس من الثقافة . وليس يخفى انها الأصل الذى تتفرع عنه جميع مظاهر الحياة .

***

اذا أردنا أن نكون مثل نيوتن وألا نكون من أكلة التفاح فان علينا أن نبذل الجهد الشاق فى اكتساب المعرفة وفى خلق الوعى الثقافى بالاشياء وبالانسان . اننا بدون هذا الوعى الثقافى لا نكون شيئا ، ونظل بعيدين وغريبين عن ميدان المعرفة .

ان تقدم الحياة فى مختلف الميادين انما يتم ارتكازا على جهود العلماء والمفكرين ـ المنصرفين الى البحث المنتظم المتكامل ، والمتعلقين بالنظر والتأمل . وما أشد حاجتنا الى كل أولئك .

ما أشد حاجتنا الى تكوين جيل من العلماء والمفكرين .

د . محمد احمد خلف الله

عمرو بن العاص السهمى
فاتح فلسطين ومصر وليبيا

اللواء الركن محمود شيت خطاب
وزير البلديات لحكومة العراق

- ٢ -

الانسان :

مفتاح شخصية عمرو ، انه كان يستعرض جوانب (القوة) دائما ، ويوازن بين ما لدى اعدائه واصحابه على حد سواء من (القدرة) موازنة طويلة حتى لا يخفى عليه منها وجه من وجوه الرأى ، فقد كان رجلا يتقن الحساب ويجيد المساومة ... يقف ساكتا ويفكر طويلا ... ثم يساوم فى حرص . انه كان يشترط دائما ... هكذا كان موقفه فى كل أمر !!

لقد كان يحب الامارة ويحرص عليها وفى سبيل الحصول على الامارة كان مستعدا ان يفعل كل شىء .

كان بارزا فى الجاهلية ، وقد اختارته قريش للسفارة بينها وبين النجاشى صاحب الحبشة ، لاقناع النجاشى بتسليم المسلمين المهاجرين الى قريش ، فراح عمرو يتقرب الى النجاشى ويستدر اهتمامه وتقديره ، ثم انهى اليه بأمر هؤلاء المهاجرين الهاربين من قومهم ، وناشده ان يستجيب لقريش فى رد ضيوف بلاده من المسلمين . ولكن النجاشى اراد ان يقف على الحقيقة ويستجلى بواطن الأمور ، فجمع الطرفين فى مجلس واحد ، فتكلم عن المهاجرين جعفر بن ابى طالب وعدد مبادىء الاسلام وقرأ ما تيسر من سورة مريم ، فاختتم النجاشى هذا المؤتمر بقوله لعمرو وصاحبه سفيرى قريش : « انطلقا ، والله لا اسلمهم اليكما » .

ولما اسلم عمرو ، قربه الرسول صلى الله عليه وسلم لمعرفته وشجاعته وولاه غزاة ذات السلاسل واستعمله على (عمان) ، فمات النبى صلى الله عليه وسلم وهو اميرها ، وكان النبى الكريم يقول عن عمرو : « عمرو بن العاص من صالحى قريش » قال عمرو : « بعث الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : خذ عليك ثيابك وسلاحك ثم ائتنى ، فأتيته ، فقال : انى اريد أن ابعثك على جيش فيسلمك الله ويغنمك ، وارغب لك من المال رغبة صالحة . فقلت : يا رسول الله ! ما اسلمت من اجل المال ، بل اسلمت رغبة فى

الاسلام . فقال : يا عمرو ! نعما بالمال الصالح للمرء الصالح» والحق أن عمرا اسلم وحسن اسلامه واخلص لدينه الجديد ، وكان ايمانه ايمانا عميقا ، حتى قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « اسلم الناس وآمن عمرو بن العاص » .

ولما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه ابو بكر الصديق احد الامراء الى الشام فتولى ما تولى من فتحها ، وولاه عمر بن الخطاب فلسطين وما حولها ، ثم كتب اليه أن يسير الى مصر ففتحها ، فولاه عمر بن الخطاب مصر الى أن مات عمر . لقد كان عمر بن الخطاب اذا نظر الى عمرو يمشي يقول : « ما ينبغى لابى عبدالله ان يمشي على الارض الا اميرا » ، وكان اذا راى الرجل يتلجلج يقول : اشهد ان خالق هذا وخالق عمرو بن العاص واحد » وكان عمر اذا استضعف رجلا فى رايه وعقله قال : « اشهد ان خالقك وخالق عمرو واحد » يريد خالق الاضداد .

والحق ان عمرا اثبت كفاءة ادارية ممتازة عند ولايته لمصر ، فقد بنى مدينة الفسطاط وحفر خليج امير المؤمنين الموصل بين النيل والبحر الاحمر ونظم قضايا الرى ، وكان عمر بن الخطاب يقدر لعمرو كل ذلك ، ومع هذا كان يحاسبه اشد الحساب على الخراج وحتى على ماله الخاص ، ويرسل من يسال عمرا : من اين لك هذا ؟! ، وقد قاسمه عمر ماله كما قاسم غيره من الامراء ، واستقدمه مع ابنه محمد ليحاسبه حسابا عسيرا على ضرب ابنه محمد احد المصريين دون مبرر .

لقد قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو راض عن عمرو ، ومات ابو بكر وعمر وهما عنه راضيان .

واقره عثمان بن عفان على مصر اربع سنين او نحوها ثم عزله عنها وولاها عبد الله بن سعد بن ابى سرح العامرى ، وكان ذلك بدء الشر بين عمرو وعثمان ، فقدم عمرو على عثمان مغضبا ومضى يستثير الناس على الخليفة ويقضي وقته متنقلا من مجلس الى مجلس يبسط للناس اخطاء عثمان ويحرضهم على الثورة ، فارسل اليه عثمان يوما فقال له : يا ابن النابغة ! ... اتطعن على وتاتينى بوجه وتذهب عنى بآخر ؟! ... » فقال عمرو : « ان كثيرا مما يقول الناس وينقلون الى ولاتهم باطل ، فاتق الله يا امير المؤمنين فى رعيتك » ، فقال عثمان : « والله لقد استعملتك على ظلعك وكثرة القالة فيك » ، فقال عمرو : « قد كنت عاملا لعمر ابن الخطاب ، ففارقنى وهو عنى راض » ، فقال عثمان : « وانا والله لو اخذتك بما آخذك به عمر لاستقمت ، ولكنى لنت عليك فاجترات على ، اما والله لانا اعز منك نفرا فى الجاهلية وقبل ان الى هذا السلطان » ، فقال عمرو : « دع عنك هذا فالحمد لله الذى اكرمنا بمحمد صلى الله عليه وسلم وهدانا به ، قد رايت العاص بن وائل ورايت اباك عفان ، فوالله للعاص كان اشرف من ابيك » وخرج عمرو الى منزله بفلسطين ، فكان يقول : « والله ان كنت لألقى الراعى فاحرضه عليه ، ولما بلغه مقتل عثمان فرح ولم يكتم فرحه وقال : « انا ابو عبد الله ! اذا حككت قرحة نكأتها ! »

وفرق على بن ابى طالب عماله على الامصار ، فلم يكن عمرو من بينهم فعلم انه لاحظ له فى حكومة على ، فاخذ يتربص حتى جاءه كتاب معاوية بن ابى سفيان : « اما بعد ، فانه كان من امر على وطلحة والزبير وعائشة ما قد بلغك ، فقد سقط الينا مروان فى رافضة اهل البصرة وقدم على جرير بن عبدالله فى بيعة على ، وحبست نفسي عليك حتى تاتينى ، فاقدم على بركة الله تعالى » ، فلما انتهى اليه الكتاب دعا ابنيه عبد الله ومحمدا فاستشارهما ، فقال له عبد الله : « ايها الشيخ ! ان رسول الله قبض وهو عنك راض ، ومات ابو بكر وعمر وهما عنك راضيان ، فاتك ان تفسد دينك بدنيا يسيرة تصيبها مع معاوية فتضجعان غدا فى النار » ثم قال لمحمد : « ما ترى ! » ، فقال : « بادر هذا الامر فكن فيه راسا قبل ان تكون ذنبا » ، فقال عمرو يخاطب ابنيه : « اما انت يا عبد الله ، فامرتنى بالذى اسلم فى دينى واما انت يا محمد فامرتنى بالذى انبه لى فى دنياى واشر لى فى آخرتى ، وان عليا قد بويع له وهو يدل بسابقته وهو غير مشركى فى شيء من امره . ارحل يا وردان » ... فلما اصبح دعا وردان مولاه فقال له : «ارحل يا وردان» ثم قال : « حط يا وردان فحط ورحل ثلاث مرات ، فقال وردان : « لقد خلطت ابا عبد الله : فان شئت اخبرتك بما فى نفسك » ، قال : هات » ، قال : « اعترضت الدنيا والآخرة على قلبك ، فقلت : على معه آخرة بلا دنيا ، ومعاوية معه دنيا بلا آخرة ، وليس فى الدنيا عوض من الآخرة ، فلست تدرى ايهما تختار !! » .

وخرج عمرو ومعه ابناه حتى قدم على معاوية ، فبايعه على الطلب بدم عثمان ، وكتبا بينهما كتابا هذا نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما تعاهد عليه معاوية بن ابى سفيان وعمرو بن العاص ببيت المقدس من بعد قتل عثمان بن عفان ، وحمل كل واحد صاحبه الامانة ، ان بيننا عهد الله على التناصر والتخالص والتناصح فى امر الله والاسلام ولا يخذل احدنا صاحبه بشيء ولا يتخذ من دونه وليجة ، ولا يحول بيننا ولد ولا والد ابدا ما حيينا فيما استطعنا فاذا فتحت مصر ، فان عمرا على ارضها وامارته التى امره عليها امير المؤمنين ، وبيننا التناصح والتوازر والتعاون على ما نابنا من الامور ، ومعاوية امير على عمرو بن العاص فى الناس وفى عامة الامر ، حتى يجمع الله الامة ، فاذا اجتمعت الامة فانهما يدخلان فى احسن امرها على احسن الذى بينهما فى امر الله الذى بينهما من الشرط فى هذه الصحيفة » .

وشهد عمرو معركة (صفين) مع معاوية ، فلما راى ان امر اهل العراق قد اشتد وان الدائرة تدور على اهل الشام ، قال لمعاوية : هل لك فى امر اعرضه عليك لا يزيدنا الا اجتماعا ولا يزيدهم الا فرقة ؟ » ، فقال معاوية : « نعم » ، فقال « نرفع المصاحف ثم نقول : هذا حكم بيننا وبينكم ، فان ابى بعضهم ان يقبلها وجدت فيهم من يقول : ينبغى لنا ان نقبل ، فتكون فرقة بينهم ، وان قبلوا ما فيها رفعنا القتال عنا الى اجل » ، فرفعوا المصاحف بالرماح ، وقالوا : هذا حكم كتاب الله عز وجل بيننا وبينكم . من لثغور الشام بعد اهله ؟! من لثغور العراق بعد اهله ... فلما رآها الناس قالوا : نجيب الى كتاب الله ! ، فقال لهم على : « عباد الله ! امضوا على حقكم وصدقكم وقتال عدوكم ... ويحكم والله ما رفعوها الا خديعة ووهنا ومكيدة » . فقالوا : لا يسعنا أن ندعى الى كتاب الله فنابى ان نقبله ... فدب الخلاف بين اصحاب على ! فقالت طائفة : اولسنا على كتاب الله وبيعتنا ؟ وقال آخرون كرهوا القتال : اجبنا الى كتاب الله ! فلما راى على وهنهم وكراهيتهم للقتال ، قارب معاوية فيما يدعو اليه ، واختلف بينهم الرسل ، فقال على « قد قبلنا كتاب الله ، فمن يحكم بكتاب الله بيننا وبينك ؟ » فقال معاوية : « نأخذ رجلا منا نختاره ونأخذ منكم رجلا تختاره » ، فاختار معاوية عمرو ابن العاص واختار على ابا موسي .

والتقى الحكمان فى (دومة الجندل) ، فقال عبد الله بن عباس لابى موسي الاشعرى : « احذر عمرا ، فانما يريد ان يقدمك ويقول : انت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم واسن منى ، فكن متدبرا لكلامه » ، فكان اذا التقيا يقول عمرو : « انك صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلى وانت اسن منى ، فتكلم ثم اتكلم ! » وانما يريد عمرو ان يقدم ابا موسي فى الكلام ليخلع عليا ، فاجتمعا على امرهما ، فاراده عمرو على معاوية فابى ، وقال ابو موسي : « عبد الله بن عمر » ، فقال عمرو : « اخبرنى عن رايك » ، فقال ابو موسي : « ارى ان نخلع هذين الرجلين ونجعل هذا الامر شورى بين المسلمين ، فيختارون لانفسهم من احبوا ! » ، فقال عمرو : « الراى ما رايت ! » ، فاقبلا على الناس وهم مجتمعون ، فقال له عمرو : « يا ابا موسي اعلمهم بان راينا قد اجتمع » . وتكلم ابو موسي فقال « ان راينا قد اتفق على امر نرجو أن يصلح به امر هذه الامة » ، فقال عمرو : « صدق وبر ونعم الناظر للاسلام واهله ! ، فتكلم يا ابا موسي » ، فاتاه عبد الله بن عباس فخلا به وقال له : « أنت فى خدعة . الم اقل لك لا تبداه وتعقبه ، فانى اخشى ان يكون اعطاك امرا خاليا ثم ينزع عنه على ملأ من الناس واجتماعهم » ، فقال الاشعرى : « لا تخش ذلك ، قد اجتمعنا واصطلحنا » . فقام ابو موسي فحمد الله واثنى عليه ثم قال : « ايها الناس ! قد نظرنا فى امر هذه الامة فلم نر شيئا هو اصلح لامرها ولا الم لشعثها من ان لا نبتز امورها ولا نعصبها حتى يكون ذلك على رضي منها وتشاور . وقد اجتمعت انا وصاحبى على امر واحد . على خلع على ومعاوية وتستقبل هذه الامة هذا الامر فيكون شورى بينهم يولون منهم من احبوا عليهم ، وانى قد خلعت عليا ومعاوية ، فولوا امركم من رايتم » ثم تنحى . واقبل عمرو بن العاص فحمد الله واثنى عليه ثم قال : « ان هذا قد قال ما قد سمعتم وخلع صاحبه . وانى اخلع صاحبه كما خلعه واثبت صاحبى معاوية ، فانه ولى ابن عفان والمطالب بدمه واحق الناس بمقامه » .

تلك هى نماذج من دهاء عمرو ، لذلك كان الشعبى يقول : « دهاة العرب اربعة : معاوية

ابن ابى سفيان وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وزياد . فاما معاوية فللحلم والاناة ، واما عمرو فللمعضلات . واما المغيرة فللمبادهة » واما زياد فللكبير والصغير » . لقد كان بحق احد الدهاة المقدمين فى المكر والراى ! وكان من شجعان العرب وابطالهم ودهاتهم .

وسيره معاوية الى مصر ، فاستنقذها من محمد ابن ابى بكر عامل على بن ابى طالب عليها فاستعمله معاوية عليها الى ان مات .

واخيرا ، داهم الموت هذا الداهية ، قال احد شهود احتضاره : « حضرنا عمرا بن العاص وهو فى سياقة الموت ، فحول وجهه الى الحائط يبكى طويلا وابنه يقول له : ما يبكيك ؟ اما بشرك رسول الله صلى الله عليه وسلم بكذا ؟ اما بشرك بكذا ؟ وهو فى ذلك يبكى ووجهه الى الحائط ، ثم اقبل بوجهه الينا فقال : « ان افضل مما تعد على شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكنى قد كنت على اطباق ثلاث : قد رايتنى ما من الناس من احد ابغض الى من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا احب الى من ان استمكن منه فاقتله ، فلو مت على تلك الطبقة لكنت من اهل النار . ثم جعل الله الاسلام فى قلبى ، فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم لابايعه ، فقلت : ابسط يمينك ابايعك يا رسول الله ، فبسط يده ، ثم انى قبضت يدى ، فقال : مالك يا عمرو ؟ فقلت : اردت ان اشترط ! فقال : تشترط ماذا ؟ فقلت : اشترط ان يغفر لى . فقال : اما علمت يا عمرو ان الاسلام يهدم ما كان قبله وان الهجرة تهدم ما كان قبلها وان الحج يهدم ما كان قبله ؟ فقد رايتنى ما من الناس احب الى من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا اجل فى عينى منه ، ولو سئلت ان انعته ما اطقت لانى لم اكن اطيق ان املأ عينى اجلالا له ، فلو مت على تلك الطبقة رجوت ان اكون من اهل الجنة . ثم ولينا اشياء بعد ، فلست ادرى ما انا فيها او ما حالى فيها . فاذا انا مت فلا تصحبنى نائحة ولا نار ، فاذا دفنتمونى فسنوا على التراب سنا ، فاذا فرغتم من قبرى فامكثوا عند قبرى قدر ما ينحر جزور ويقسم لحمها ، فانى استانس بكم حتى اعلم ماذا اراجع به رسل ربى » . ثم قال : « اللهم لا بريئ فاعتذر ولا عزيز فانتصر ، والا تدركنى برحمة اكن من الهالكين » ثم اخذ يردد : لا اله الا الله ، فلم يزل يرددها حتى مات يوم الفطر بمصر سنة ثلاث واربعين للهجرة (٦٦٤ م) فى خلافة معاوية وكان له من العمر تسعون سنة . فقد عاش بعد عمر بن الخطاب عشرين سنة وكان عمر عمر بن الخطاب ثلاثا وستين سنة ، وقد كان عمرو يقول : « اذكر ليلة ولد عمر ابن الخطاب » ، فكان عمره لما ولد عمر ابن الخطاب سبع سنين . اى انه ولد سنة سبع واربعين قبل الهجرة (٥٧٧ م) ودفن بالمقطم .

لقد كان عمرو يحب الامارة ويحب المال ، قال له معاوية يوما وهو شيخ كبير : «ما بقى منك يا عمرو ؟ فقال : « مال اغرسه فاصيب من ثمرته وغلته » : وقيل لعمرو : ما المروءة ؟ فقال : « يصلح الرجل ماله ويحسن الى اخوانه » ، فلما مات عمرو خلف الف الف درهم ودورا عديدة فى مصر وارض الشام .

وكان ذكيا كاتبا وقارئا ، بليغا فى نثره ونظمه ، ولعل كتابه الى عمر بن الخطاب يصف فيه مصر يعد من ابلغ الرسائل ليس فى العربية فقط بل فى كل لغات العالم ، فلما ورد هذا الكتاب الى عمر بن الخطاب قال : « لله درك يا بن العاص ! لقد وصفت لى خبرا كانى اشاهده » . وقد اشتهر عمرو بحكمه البليغة ، وله اقوال ماثورة منها : « ليس العاقل الذى يعرف الخير من الشر ولكنه يعرف خير الشرين » . وقال يوما لمعاوية : « ان الكريم يصول اذا جاع ، واللئيم يصول اذا شبع . فسد خصاصة (حاجة) الكريم واقمع اللئيم » . قال معاوية لعمرو : « من ابلغ الناس ؟ » ، قال من كان رايه رادا لهواه » . فقال : من اسخى الناس ؟ » ، قال « من بذل دنياه فى صلاح دينه » ، قال : « من اشجع الناس ؟ » فقال : « من رد جهله بحلمه » . ومن غرر اقواله : « موت الف من العلية اقل ضررا من ارتفاع واحد من السفلة » . وقال : « اذا انا افشيت سرى الى صديقى فاذاعه فهو فى حل » ، فقيل له : وكيف ذلك ؟ فقال : « انا كنت احق بصيانته » .

وقد رويت له آثار فى الشعر والخطب الطوال تسلكه بين الشعراء والخطباء ، فمن شعره :

اذا المرء لم يترك طعاما يحبه
ولم ينه قلبا غاويا حيث يمما

قضي وطرا منه وغادر سبة
اذا ذكرت امثالها تملأ الفما

وقال :

معاوى لا اعطيك دينى ولم انل
به منك دنيا ، فانظرن كيف تصنع

فان تعطنى مصرا فأربح بصفقة
أخذت بها شيخا يضر وينفع

وله شعر كثير ، وكل ما ينسب اليه من شعر فهو من هذه الطبقة التى لا تسف ولا تعلو الى الذروة بين بدائع الشعراء .

وكان محدثا روى عن النبى صلى الله عليه وسلم تسعة وثلاثين حديثا ، وكان فقيها من اصحاب الفتيا من الصحابة ، وقد وصفه رجل بقوله : « صحبت عمرو بن العاص ، فما رايت رجلا ابين قرآنا ولا اكرم خلقا ولا اشبه سيرة بعلانية منه » .

بل كان مجتهدا فى أمور الدين ، فقد روى انه لما بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم عام ذات السلاسل ، قال : « احتلمت فى ليلة باردة شديدة البرد ، فاشفقت ان اغتسلت ان اهلك ، فتيممت ثم صليت باصحابى صلاة الصبح ، فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرت ذلك له فقال : ياعمرو ، صليت باصحابك وانت جنب ؟! فقلت : نعم يا رسول الله ! انى احتلمت فى ليلة باردة شديدة البرد ، فاشفقت ان اغتسلت ان اهلك ، وذكرت قول الله عز وجل (ولا تقتلوا انفسكم ان الله كان بكم رحيما) فتيممت ثم صليت ! فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقل شيئا » ، ولا عجب من ذلك فهو الذى امره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقضي بين خصمين جاءاه ، فقال « اقض بينهما يا عمرو ! » فقال عمرو : « انت اولى بذلك منى يا رسول الله » قال : « وان كان » ، كما انه هو الذى كان يروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال : « اذا حكم الحاكم فاجتهد فاصاب فله اجران وان اخطأ فله اجر » .

وكان حليما ، فقد ذكروا انه جعل لرجل الف درهم على ان يسأل عمرو بن العاص عن امه وهو على المنبر ، فسأله فقال امى سلمى بنت حرملة ، تلقب النابغة من بنى عنزة ، أصابتها رماح العرب ، فبيعت بعكاظ ، فاشتراها الفاكهة ابن المغيرة ، ثم اشتراها منه عبد الله بن جدعان ، ثم صارت الى العاص بن وائل ، فولدت له ، فانجبت ، فان جعل لك شيء فخذه » .

وكان يعتز بنفسه وبكرامته ، فقد كتب عمر ابن الخطاب الى عمرو وهو على مصر يسأله فيه عن اصل المال الذى جمعه ، فغضب ابن العاص ، وكان مما اجاب به : « ... ووالله لو كانت خيانتك حلالا ما خنتك وقد ائتمنتنى ، فان لنا احسابا اذا رجعنا اليها اغنتنا عن خيانتك » .

وكان اداريا حازما : تحبب الى سكان البلاد الاصليين ورد اليهم حقوقهم المغتصبة وقطع دابر ما كان يثير تذمرهم ، ومنحهم الحرية الدينية الكاملة وابقى ارضهم على حالها لم يقسمها بين الفاتحين من المسلمين ، وحرص على رفاهية السكان وعدم ارهاقهم بالضرائب ، فقد جبى خراج مصر وجزيتها الفى الف وجباها خلفه عبدالله بن سعد بن ابى سرح اربعة آلاف الف ، فقال عثمان لعمرو : « ان اللقاح بمصر بعدك درت البانها » ، فقال عمرو : « ذاك لانكم اعجفتم أولادها » ... ونفذ وصية الرسول صلى الله عليه وسلم بالقبط نصا وروحا : « اذا افتتحتم مصر فاستوصوا بالقبط خيرا ، فان لهم ذمة ورحما » .

وكان ادعج ابلج قصير القامة يخضب بالسواد ويهتم بقيافته وبمسكنه وماكله وملبسه .

وليس من شك ان عمرا كان يتمتع بخصال انسانية ممتازة تجعله بين صفوف الخالدين من ذوى المواهب والعقول ، وقد انصف عمرو نفسه حين قسم حياته الى ثلاثة ادوار : دور الجاهلية ، ودر الاسلام فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم والشيخين والصدر الاول من عهد عثمان بن عفان ، ودور الاسلام بعد عزله عن مصر فى أيام عثمان حتى توفاه الله ، ولعله قد جزع حين وفاته مما جنت يداه فى الدور الثالث من حياته ، فأخذ يردد وهو يحتضر : « اللهم أمرتنى فلم آتمر ، وزجرتنى فلم انزجر » ، ودخل عليه ابن عباس فى مرضه فقال : « كيف اصبحت يا أبا عبد الله ؟ » ، فقال « اصلحت من دنياى قليلا ، وافسدت من دينى كثيرا ، فلو كان الذى اصلحت هو الذى افسدت والذى افسدت هو الذى اصلحت لفزت ... »

وارى أن شعور عمرو بالحزن والاسي والندم على ما فرط فى جنب الله ، دليل قاطع على ايمانه العميق اذ لو لم يكن مؤمنا حقا ، لما أنب نفسه علنا أمام الناس قبل أن يؤنبه غيره ، لذلك قال النبى الكريم

عنه وعن اخيه : « ابنـــا العاص مؤمنان : عمـرو وهشام » .

وليس ادل على ايمانه من قوله من على منبره : « لقد اصبحتم وامسيتم ترغبون فيما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزهد فيه : اصبحتم ترغبون فى الدنيا وكان رسول الله صلى الله عليــه وسلم يزهد فيها . والله ما اتت على رسول الله صلى الله عليه وسلم من دهره الا كان الذى عليه اكثر مما له » ، وكان يقـول : « والله ان كنت لاشـد الناس حياء من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما ملأت عينى من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا راجعته بما اريد حتى لحق بالله عز وجل حياء منه » ، فهل يمكن أن تصدر مثل هذه الاقوال الا عن مؤمن قوى الايمان ؟

القـــائد :

كان عمرو من فرســـــان قريش وابطالهم فى الجاهلية مذكورا بذلك فيهم ، وكان جريئا مقداما وذا راى قريش كما وصفه ابو بكر الصـــديق ، وبذلك اجتمعت لعمـــرو اهم عناصر القيـــادة : الشجاعة الشخصية والبطولة والجراة والاقدام والراى السديد والعقل الراجح والمنطق السليم .

فاذا اضفنا الى ذلك حرص عمرو على استكمال جمع المعلومات عن عدوه وعن طبيعة الارض التى يقاتل فيهـــا ، وذلك بالاستطلاع الشـــخصى ، والاستطلاع بالعيون والارصاد ، فقد تيسرت لعمرو كافة عوامل اعداد خطة مناسبة ناجحة .

لقد كان عمرو يقدر قيمة الاستطلاع حق قدره ، لذلك كان يتقدم لمواجهة عدوه وهو يعرف عنه كل شيء ... يتقدم نحوه مفتوح العينين فى نور لا فى ظلام ..

كان من أسباب نجاحه فى غزوة ذات السلاسل ، ان ام العاص بن وائل والد عمرو من بنى (بلى) لذلك عاونه اخواله فى تيسير مهمتـــه وامـــدوه بالمعلومات الضرورية للنجاح .

وكان لمعرفته الشخصية بطبيعة ارض فلسطين وبمناطقها المناسبة للقتال وبالطرق التقريبية اليهـــا وبمزايا اهلها ومزايا الروم ، اثر حاسم على انتصاره فى معارك فتح هذه البلاد .

والظاهر انه لم يكتف بالمعلومات المتيسرة لديه عن فلسطين ، بل اقدم على مغامرة استطلاعية فذة ، فقام بالاستطلاع الشخصى لمقر قائد الروم (ارطبون) فاطلع على نقاط الضعف فى مواضع الروم — وبذلك انتصر عليهم ، وكاد هذا النصر يكلفه حياته من جراء مغامرته باستطلاعه الشخصى .

وكان لحضور عمرو الى مصر فى جاهليتـــه اثر كبير على معرفته باحوال مصر واخبارها : طرقهـــا وطبيعة ارضهـــا ومدى الاضطهاد الدينى والسياسى الذى يتحمـــله اهل مصر من الروم — فلا عجب أن يقدم عمرو على دخول مصر على راس ثلاثة آلاف وخمسمائة رجل فقط ، اذ لولا تيسر المعلومات الكافية لديه عن مصر واهلها وضعف حاميتها لمـــا كان من المعقول ان يقدم على فتح مصر بمثل هـــذا العدد الضئيل من الرجال .

وكان عمرو يتمتع بحاسة معـــرفة تاثير طبيعة الارض على المعركة فهو الذى اشار على قادة المسلمين فى ارض الشام بالاجتماع فى (اليرموك) ، فلما نزل الروم معسكرهم انتقل المسلمون الى معسكر مناسب ونزلوا على طريق انسحاب الروم وليس للروم طريق الا على المسلمين ! ... حينذاك هـــتف عمرو : « ايها الناس ! ابشروا ، حصرت والله الروم ، وقل ما جاء محصور بخير ! »

وكان يؤمن باهمية (الضبط) والطاعة والسيطرة ، لذلك كان يفرض على رجاله ضبطا عاليا ويطالبهم بالطاعة المطلقة لاوامره ويسيطر عليهم سيطرة تامة ولعل منع رجاله — وفيهم بعض كبار الصحابة مثل ابى بكر وعمر وابى عبيدة بن الجراح — من اشعال النار ليلا على الرغم من شدة البرد ، ليحول دون كشف مواضعهم للعدو ، مثال رائع لشدة ضبط عمرو وسيطرته النافذة على مرؤسيه بصرف النظر عن قيمتهم الاجتماعية .

وكان بعيد النظر ، يحسب لكل شيء حسابه بدقة واتقان ، ولا يترك امرا تحت رحمة الصدف . فحين فزع اهل المدينة لبس عمرو سلاحه وقصد المسجد على حين تفرق المسلمون ، فخطب النبى صلى الله عليه وسلم فقال : « الا كان مفزعكم الى الله ورسوله الا فعلتم كما فعل هذان الرجلان المؤمنان ؟ . كما ان بعد نظره جعله يمنع رجاله من مطاردة قضاعة بعد هزيمتها خوفا من وجود مدد لها ، فيقع رجاله فى كمين يكبدهم خسائر فادحة .

وكان عمرو يحارب بسيفه وعقله على حد سواء كان يباشر القتال بنفسه ، وقد باشر القتال فى القلب ايام صفين بنفسه ، فلما كان يوم من تلك الايام اقتتل اهل العراق واهل الشام حتى غابت الشمس ، ثم اقتتلوا ساعة من الليل حتى كثرت القتلى بينهم ، فصاح عمرو باصحابه : الارض يا أهل الشام ، فترجلوا ودب بهم وترجل اهل العراق ايضا ، فكان عمرو يقاتل وهو يقول :

وصبرنا على مواطن ضنك
وخطوب ترى البياض الوليدا

فاقبل رجل من اهل العراق وضرب عمرا ضربة جرحه على العاتق فادركه عمرو فضربه ضربة قضت عليه .

وكان يحارب بعقله كما يحارب بسيفه ، بل كان عقله امضي حدا من سيفه ، فكان يحاول ان يحول المعركة بين معاوية وعلى من حرب السيوف الى حرب الفكر واللسان لكى يشل قوة رجال على !

لقد عمل جاهدا على تشكيك على بن ابى طالب باخلص رجاله ، واغرى بعض اهل الكوفة بالمال وبالوعود ليكونوا رتلا خامسا بين صفوف قوات على .

وقد منع اصحاب معاوية الماء عن اصحاب على ، فلما غلب اصحاب على على الماء استفاد عمرو منه شهامة على وايمانه فأورد رجاله الماء بدون قتال .

ولما حاقت الهزيمة باهل الشام اشار عمرو على معاوية برفع المصاحف ، فدب الخلاف بين رجال على ، منهم من اجاب ومنهم من خالف لعلمه بأن رفعها خدعة ، وبذلك نجى اهل الشام من اندحار اكيد ، وتفرق شمل اهل العراق فلم يجتمع بعدها ابدا .

لقد كان عمرو يجيد حرب الدعاية ويؤمن بمبدأ : الحرب خدعة .

وكان يقدر اهمية توحيد القيادة وضرورة وجود قائد واحد يدير معركة واحدة على رأس قوة واحد ، وعلى الرغم من حرصه الشديد على الامارة ، الا ان التفاتته البارعة الى حصر القيادة بيده فقط فى معركة ذات السلاسل كانت ذات اهمية بالغة من الناحية العسكرية البحتة ، لان وجود قائدين على رأس قوة واحدة يؤدى الى الارتباك والبلبلة وضياع المسؤولية وتفرق الشمل وبعثرة الجهود .

لقد كان عمرو أوسع قواد المسلمين حيلة واشدهم ذكاء ، وكان قائدا عقائديا يتمتع بشخصية جبارة وارادة حديدية وذكاء خارق ودهاء عجيب ، وكان يتحمل المسئولية كاملة مهما تكن النتائج .

وكانت معاركه (تعرضية) ، يعمل على مباغتة عدوه كما فعل فى فتح حصن بابليون ، وينجز (تحشيد قوته) قبل الاقدام على خوض معاركه كما فعل فى طلب المدد قبل معركة ذات السلاسل وكما اشار باجتماع المسلمين فى اليرموك قبل خوض هذه المعركة الحاسمة .

كما كان يحرص على تطبيق مبدأ (الأمن) ، لذلك حرص على السرى ليلا والاختفاء نهارا فى مسير الاقتراب الى غزوة (ذات السلاسل) ، كما حرص على عدم ايقاد النار وعدم المطاردة فى تلك المعركة، وتلك امثلة على تطبيقه مبدأ (الامن) فى المدى التعبوى . اما تطبيقه هذا المبدأ فى المدى السوقى فمظهره فى فتح ليبيا لتأمين مصر من الغرب ومحاولته فتح النوبة لتأمين مصر من الجنوب .

وكان يبذل قصارى جهده لتأمين (تعاون) قواته وارتاله فى القتال ، كما كان (يديم معنويات) رجاله بشتى الوسائل قبل المعركة وفى اثنائها وبعدها ويسهر على توفير (الامور الادارية) لقواته .

لقد كان قائدا مثاليا بكل ما فى القيادة المثالية من معنى .

عمرو فى التاريخ :

هناك اختلاف بين المؤرخين فى تقدير اعمال عمرو انسانا ، ولكن هناك اجماعا بين المؤرخين على تقدير اعمال عمرو قائدا .

لقد كانت من ثمرات جهاد عمرو فتح فلسطين ومصر وليبيا — وهى بلاد لم يفتح غيره من قادة العرب فى عهد الاسلام اوسع منها واكثر خيرا .

ان التاريخ يذكر لعمرو دهاءه الفذ وادارته الحكيمة للبلاد التى يحكمها ويذكر له جهاده فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم وجهاده فى حروب الردة وفتح فلسطين ومصر وليبيا .

انه يحتل انصع صفحات الفتح الاسلامى فى كل تاريخ العرب والمسلمين . رضى الله عن الصحابى الجليل ، القائد الفاتح ، الادارى الداهية ، عمرو بن العاص السهمى .

محمود شيت خطاب

تفاقم النسل مسغبة وإملاق

للمستشار أنور حجازى

شئت اول ماشئت ان اضفى على هذه الظاهرة الاجتماعية الهامة وصفا غير هذا الذى انتهيت اليه؛ اذ دار بخلدى ان انعتها بالرزء الفادح والخطر المحيق ، ولكن آداب الحديث والبدء فيه ، و « براعة الاستهلال » استوجبت قولا رفيقا فيه رفق بالمشاعر والأحاسيس .

فكانت المسغبة وكان الاملاق هما اضعف الايمان وصفا وتعبيرا عما يصير اليه مجتمعنا ان تفاقم النسل فى اضطراد . على هذا النحو الذى تنبات به الاحصاءات الرسمية الأخيرة ، وما تنبات به الاحصاءات الغدائية والاجتماعية التى تضطرد مع تلك الزيادة الهائلة المتدفقة فى انجاب الذرارى والوارثين

قالت الاحصاءات الرسمية :

اننا كنا فى سنة ١٨٩٧ ٩٫٧١٤٠٠٠ نسمة

وصرنا فى سنة ١٩٤٧ ١٩٫٩٢٠٠٠ نسمة

وفى سنة ١٩٥٧ ٢٢٫٩٩٦٫٩٠٤ نسمة

وتكهنت مصلحة التعداد والاحصاء بان سكان مصر فى سنة ١٩٨٢ سيصبحون ٤٤٫٦٨٢٠٠٠ نسمة

وفى يقينى ان مصلحة التعداد والاحصاء فى تكهنها قد اغفلت التقدم الصحى الرائع الذى ستبلغه بلادنا فى تلك السنين بموازرة الجهود الصحية العالمية ، وفى يقينى ايضا ان حتمية النمو الصاعد فى التسابق التناسلى ستزيد على هذا التكهن المذكور لتقترب بالاحصاء من الخمسين مليونا

فاذا كنا فى تلك الايام نستجلب من بلاد شتى مثل امريكا والصين والسودان وليبيا وغيرها ، نستجلب منها كميات هائلة فى كل عام وعلى مدار السنة من غلال ولحوم ومواد غذائية كثيرة لنسد نقصا تعجز عن الوفاء به امكانياتنا الزراعية وثروتنا الحيوانية

ذلك هو موقفنا ونحن نقترب فى تعداد الانفس من خمسة وعشرين مليونا أو تقل عنها بكثير، فما هو المصير المرتقب حين يتضاعف العدد ويبلغ التعداد خمسين مليونا من الأنفس الراغبة ، المحتاجة لمتطلبات العيش التى سيرتفع مستواها حتما ولزاما ، تمشيا مع طفراتنا الاجتماعية التقدمية التى نحرزها كل يوم فى سلم التصاعد الانسانى .. ؟ وما هو المصير ان قامت حروب او عوائق تمنع عنا مانستجلبه من تلك البلاد .. ؟

واسجل هنا الزيادة فى الدخل القومى المترتبة على معجزة الفن الحديث ، والحدث التاريخى المتطور الناهض الذى بذلنا من اجله المال والوقت والكفاح ، واعنى به « السد العالى » !

١ – تتسع الرقعة الزراعية مليون فدان جيدة مع تحويل حياض الوجه القبلى فى مساحة ٧٠٠ الف فدان الى الرى المستديم – بما يزيد المساحة المنزرعة ٣٠٪

٢ – ضمان احتياجات الرى لجميع الاراضى المنزرعة

٣ – تحسين صرف جميع الاراضى الزراعية بما يزيد غلتها

٤ – ضمان زراعة ٧٠٠ الف فدان من الارز سنويا .

وما الى ذلك من مزايا عديدة تتصل بالوقاية من خطر الفيضانات وتحسين حالة الملاحة وتحسين اقتصاديات كهربة خزان اسوان وتوليد طاقة كهربية ضخمة من السد العالى تقدر بحوالى ١٠ مليار كيلوات ساعة سنويا مما يساعد على خلق صناعات جديدة وازدهار الصناعات الحالية .

وان خير ما وصفت به الطفرات المتتابعة فى زيادة النسل « انها عمليات افقار وهبوط بالمستوى » ذلك لانه مهما ازدهر دخلنا القومى وتضاعفت امكانياتنا المعيشية فانها لا تتناسب مع زيادة النسل هذه التى تلتهم كل تقدم أولا بأول حتى تفيض عن قدرته ، فكلما خطونا خطوة الى الامام ارتد بنا ثقل عبء النسل وكثرة الوارثين الى الوراء ، والتراجع على هذا النحو النسبى تخلف مضاعف يزيد على طاقات الازدهار واليسار وقدرة القادرين .

فالمصير الى الافتقار والهبوط بالمستوى ، والمسغبة والاملاق ، مترادفات تعنى الحاجة والعوز وشدة الضنك ، وهى حين تمس مجتمعنا تصيبنا فى كثير من المقومات التى تلزم للعيش فى صورة افضل .

علينا اذا ان نمعن الفكر ونتبصر بمفهوم الوعى الحديث ، حسب مقتضيات عيشنا وظروفنا ، وان نبادر الى علاج الامر فى شجاعة متمثلين بكثير من دول العالم التى فطنت الى الغبة وسوء المصير من جراء ترك الامر مرسلا للغافلين من الناس الذين

يكثرون من الانجاب بلا وعى ويلقون بالابناء فى تيه الوجود مجردين من السند والحفاظ والعون والمؤازرة ، فينطلقون فى دروب الحياة وبيداء المجتمع غير محصنين ، فتخسرهم رجالا نافعين منتجين .

ان الهند التى تتسع رقعتها وتزدهر عناصر الدخل القومى فيها تسعى جاهدة الى تحديد النسل بكل الوسائل العلمية المدروسة ، ومن بينها استعمال اقراص منع الحمل وكذلك بورتوريكو اذ كان معدل المواليد سنة ١٩٤٧ ٢ر٤٢ فى الألف فى بداية التجربة وانخفض المعدل بعد سنتين الى ٣٩ فى الألف وفى سنة ١٩٥٦، انخفض المعدل الى ٣٤ فى الألف وهذه النتيجة الطيبة وصلت اليها بورتوريكو باستعمال اقراص الحمل .

وهذا بعض ما دعا اليه مؤتمر الجريمة الذى انعقد فى القاهرة خلال شهر يونيو سنة ١٩٦٣ ، دعا الى وجوب تنظيم النسل وتحديده ، وان تستعين الدولة لذلك بكل وسائل الاعلام وما تزخر به من امكانيات

ويدعو اليه كل منصف يتدبر الامر ببصيرة العارفين ، ويمحصه بتعقل وامعان ، ٠٠٠!!

واما ان يقال ان تحديد النسل يتعارض مع تعاليم الدين ، فانى اتذرع بما يأتى ردا على هذا القول : —

١ — ان ترك امر تحديد النسل بلا قيد تنظيمى يودى بنا الى بوار وسوء مصير ، وسوء المصير هلاك وخطر محيق ، وقال تعالى « ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة ... »

٢ — الضرورات تبيح المحظورات ، اصل من اصول شريعتنا الاسلامية الغراء ، وضرورات الحياة والمجتمع الذى نحيا فيه والكيان العالمى الذى يضم اسرةبلادنا تنادىبوجوب تنظيم النسل وتحديده رعاية للبشرية وصونا لكيانها من التعثر والاضطراب والامراض والتخلف والارتجال .

٣ — ان شريعتنا الغراء التى اباحت قتل الجنين فى بطن أمه ابقاء عليها ، لا يمكن أن تمنع جنينا من التكوين ابقاء على الاحياء وتكريما لآدميتهم التى تهدرها فوضى التناسل وانطلاقها فى جماعات كالسائمة لا تعى ولا تبين ٠

٤ — قال تعالى « ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق » ، وتحديد النسل ليس جريمة قتل وانما هو دعوة لمنع تكوين جنين قد يولد فلا يرى النور وانما يرى العدم والفاقه والاملاق ، فيتناحر الناس فى تطاحن بشرى رهيب ويقترفون ما حرم الله من صراع يؤدى الى الحروب وقتل النفوس التى حرم الله قتلها ٠

٥ — قال الامام على رضى الله عنه « لو كان الفقر رجلا لقتلته » ولا مراء فى ان كثرة النسل مجلبة للفقر والهم والعوز . فاذا زعم صاحب القول الاول ان الدين بظاهره وسكت عن الايضاح فى التواء مطموس ، فانما الدين بظاهرنا فيما نقول ونظاهرنا الشريعةالغراء واحداث الوجود وتطورات الحياة .

والدعوة الى تحديد النسل وتنظيمه انما هى مسايرة لركب الحياة الصاعد ، واستجابة لحتمية التطوير الاجتماعى توسلا الى غايات مثلى هى السمو بمكانة الانسان والارتفاع بشأنه ، وحتى لا تحتدم البشرية من بعد فوضى تناسلية احتداما يصيبها فى عزتها وكيانها وكمالها ، وحتى لا تضطرب معايير الحياة من خلال تلك الفوضى فيكون التباين الاجتماعى الشاسع الذى يولد الحقد والكراهية والبغضاء .

والقائلون بأن تعاليم الدين تتعارض مع تحديد النسل يعقبون على قولهم هذا دائما بقول المتواكل المستضعف المستكين ، فيؤكدون أن خيرات البلاد وفيرة ... ولكن على الدولة أن توفر لكل انسان رزقه، فما دامت خيرات البلاد وفيرة، فعلى كل انسان ان يسعى فى مناكبها ليوفر الرزق لنفسه وبنيه .

ومع ذلك فان هذا القول المرسل محل نظر وتعقيب ، لان الخيرات فى بلادنا فى اقصى المدى واقصى التصور بعد انشاء السد العالى ستزيد الارض حسبما اسلفنا القول حوالى مليون فدان ، و ٧٠٠ الف فدان تروى ريا مستديما بدلا من رى الحياض ، اى ان الزيادة الفعلية فى مساحة الارض حوالى مليون وثلاثمائة وخمسون الف فدان ، فضلا عن المكاسب الصناعية والتجارية الاخرى ، ولكن ذلك كله لايجدى نفعا أمام هذا التيار الجارف من التزايد البشرى الذى سيستنفد حتما تلك الخيرات جميعها ومايجلب من الخارج أضعافا مضاعفة.

هذا ان سارت النسبة فى التزايد على هذا النحو الخطير ، فان جميع المكاسب التى نجنيها من السد العالى ومن جهادنا وكفاحنا ستضيع مغمورة فى جوف الطوفان المدفوع الى الوجود بلا حساب او تدبر او امعان .

فان ضاقت الارض بالناس ، وضاقت بهم

الارزاق ، فمن اين تاتيهم الدولة بما يوفر لهم الرزق عزيزا سخيا ... ؟

انه قول مرسل بلا حساب يردده القائلون به كمن يعيشون في ابراج من ذهب بعيدين عن مشاكل الناس واحداث الحياة وصروفها التي تحيق بالبشر وتظهر مكنون اسراره ، فما عليهم الا ان يلقوا بالكلم على عواهنه ملوحين بتعاليم الدين مذكرين اولى الامر باعباء فوق اعباء فيرهبوا الناس ويلهبوا مشاعرهم ، كما يرهبون المصلحين والمسئولين العاملين في حقل الاصلاح الاجتماعي ، ثم يخلدون هم الى راحة ذهنية تنأى بهم اكثر بعدا عن مشاكل الحياة واثقالها ، تلك المشاكل التي تتبدى في صورة قضايا وحادثات وخصومات تزخر بها ساحات المحاكم ودور العدالة .. !

فيا اولي الامر فينا !

تبصروا في الامر بحكمتكم ، تبصروه في حزم عاجل :

استبينوا مدى المواءمة والتنسيق ، لتنطلق من بعد ذلك اسباب العلاج حاسمة قوية في صور من التشريع والتطبيب والتنوير ، حتى اذا ورثنا الاجيال القادمة ما حققناه من خيرات لا نورثهم معها طوفانا من النسل المتكاثر المريض الذي يعوق التقدم والانطلاق في مضمار الحياة ، وانما نورثهم نسلا قويا محدودا ، مستكفيا قادرا ، نساير به ركب الوجود الحديث ونبلغ بالوطن مكانة رفيعة في رفعة السمو والسماء .

مما نشرته الرسالة سنة ١٩٤٠ . . . (فيضان النيل)

في ذات بكرة من بكر المنصورة الغريقة في النور والفتور والهدوء والعطر ، رايت من مشرف القهوة شاطئيه الظامئين قد شرقا من فيضه بدم الحياة او بذوب النضار ، فهما يفهقان كما يفهق اليهودي ذو الربو الهرم ! وابصرت الزوارق التي كانت تجر بالامس على رمال القاع قد غدت على صفحته الذهبية المتموجة اشبه شيء بالحمام الطائر على حقول القمح اذا استحصدت ، او بالفراش المبثوث على رياض الشقائق اذا توردت . ثم صور لي ان المدينتين المتقابلتين على ضفتي النهر المقدس الخالد قد صفتا اليه بوجوههما وقلوبهما كانهما تؤديان اليه تحية العرفان ، والى الله صلاة الشكر ، حتى الكافورة بالغت اغصانها الشمالية في التدلي حتى اوشكت ان تقبل امواجه المسلسلة وهي تنساب في ظلها الظليل شادية بالثراء والغبطة .

حينئذ وجدتني على الرغم مني عاني الوجه له ، مستغرق الفكر فيه ، يتردد في خاطري ما يردده الحيوان والشجر من تقديسه وتمجيده . ثم قر في نفسي ان بيني وبين هذه الشجرة القريبة وذلك الرجل البعيد قرابة شابكة ، لاني شعرت ان بيني وبين من يسقيه النيل اخاء من رضاع الماء كما يكون بين الولد والولد اخاء من رضاع اللبن ! ووضح في ذهني الآن معنى ما يقول الناس من ان علاقة الفرد بالامة هي علاقة الاخوة ، وعلاقة الامة بالوطن هي علاقة الامومة ، وكما يتجه في لحظات الصفاء الروحي فكر الاخ الممنوح الى اخيه المحروم ، اتجه فكري في هذه الجلوة النفسية الى ثرانا المكروب واكبادنا الحرى في صحارينا الشرقية والغربية . فقلت لنفسي وانا اردد الطرف الساهم في تيار النهر الجارف ودواراته المدومة ولججه الفائرة : كيف خف على ضمائر ذوي العلم والراي في وزارة الاشغال ان يدعوا هذا الفيض الحيوي العظيم يتدفق اربعة اشهر في لهوات البحر الابيض دون ان يحبسوه بحيلة من حيل الفن الهندسي ليحيوا به موات الناس والارض !

لو كان لمهندسي الري في بلادنا مطمح تشرف نفوسهم عليه غير ان يكونوا موظفين يسجلون المناسيب ويضبطون المناوبات ويتعهدون الجسور ويترقبون العلاوات ، لوصلوا ما انقطع من ابحاث « ولكوكس » و « سري » حتى يبلغوا بها الغاية التي يكون بعدها كل سهل واحة ، وكل تل غابة . ولكن مهندسينا كسائر اهل الفكر فينا لا يعملون الا للعيش ، فاذا ضمنوه هدهدوا كسلهم الرخي اللذيذ على كرسي العمل الدوار في المكتب ، او على كرسي الهضم الهزاز في المنزل .

الزيات

***

والرسالة العائدة تحمد الله على ان حقق لها بالسد العالي ماتمنته في العهد الخالي .

الفن بين المحسوس وما وراء المحسوس

للأستاذ فتحي عثمان

اذا كان العلم قد انتهى الى أن المادة هي الطاقة ، والى ان الكون اقرب الى ان يكون فكرة من ان يكون آلة ... فان الفن بطبيعتـــه يتفاعل فيـه الحس والخيـــال ، والشعور ، واللاشعور ، وهو المجـال الذي يومي، في جـــلاء الى شيء وراء الحس في عالم الانسان !

وليس ثمة داع للوقوف طويلا عند مفهوم الفن ، وتحديد التعريف الجامع المـانع له ، فهـــذا أمر اختلفت فيه الآراء والمذاهب ، وحســـبنا ان نرصد ما يشـــير الى ما وراء المحســوس فيما تنطق به العبـارات والتعبيرات لاســتجلاء كنه الفن ومفهومه الغائر العميق !!.

واذا كان الكثيرون من المحـــدثين يربطون بين مفهوم الفن ومفهوم الجمــــال ، فيعرفون الفن بأنه **القدرة على توليد الجمال او المهارة في اســتحداث متعة جمالية** ـ كما نقرأ في معجم لالاند الفلســفي ودائرة المعـارف البريطانية ومعجم اكســفورد وفي احد أقوال ســـانتيانا ، فان تولســـتوى لا يرى ما ترتأيه المذاهب الجمالية في الفن وما يسببه من المتعة أو اللذة ، وهو يرى أن ميزة الفن الكبرى انما تنحصر بالتحديد في قدرته على محو شتى الفواصل **بين الناس** ، وهذا هو الدور الجليل الذي يلعبه الفن في حياة الانسانية بصفة عامة باعتباره مظهرا من مظاهرها ووسيلة للاتصال بين أفرادها .

ويرى أوجســت رودان (١٨٤٠ ـ ١٩١٧ م) ان « الفن هو التأمل ... هو متعة العقل الذي ينفذ الى صميم الطبيعة ويستجلي مافيها من عقل يبعث فيها الحياة ، هو فرحة الذكاء البشري حين **ينفذ بابصاره الى أعماق الكون ، لكي يعيد خلقه مرسلا عليه أضواء من الشعور** » !!

فاذا لم يكن مجرد تعبير عن الخيال أو الوجدان أو العاطفة ، فهو ليس ايضـــا مجرد نسخ لـــا تنقله الحواس ، وانما هو لغة نوعية خاصة تعبر عن حاجة الانسان الى الخلق والانتاج من أجل تحقيق **ضرب من النشاط الابداعي الذي يستطيع عن طريقه ان يخلع على الكون نفسه صبغة انســـانية محضة !!** وهذه القـدرة الابداعية ـ على حد قول ســـوريو ـ هي التي تجمع بين العمارة الشاهقة والسيمفونية الرائعة واللوحة الناطقة والقصيدة المعبرة ! على أن ما يخلقه الفنان لا بد أن يكون **عملا فرديا يتسم بطابع خاص أو اصـــالة شخصـــية بحيث يصح أن نقول انه نسيج وحده !!** وما يميز الفن عن العلم هو الدور الهـــام الذي تلعبه الحواس في دائرة الخبرة الجمالية ، فضــــلا عما في الفن من **اعتماد على الخيال** . فلا بد لشتى المنبهـــات الاســتطيقية (الجمالية) أن تمثل أمام الحس أو الحواس ، حتى يمكن أن تستثير استجابات **التاويل او التخيل أو التامل أو الانفعال** . وليس من شأن الفن بالضرورة ان يستثير الاحساس والخيال بنفس الدرجة ، ولكن لابد من أن يمسهما على السواء .

هناك آثار جلية لما وراء المحسوس في عالم الفن ، ومن هنا فان العلاقة بين الموضوع الجمالي والموضوع الطبيعي ليست مجرد المحاكاة ... لقد كان النزوع الى محاكاة الطبيعة فحسب هومذهب روسو وديدرو وريتان ورسكين ، ولكن كان النظر الأحدث والأقوم ان الفنان يستمد موضوعه من عالم الفن لا من عالم الطبيعة.والى هذا ذهب أندريه مالرو (١٩٠١) وهذا بباسكو (١٨٨١) ينفذ الى أعماق التفاعل الخلاق بين الطبيعة والانسان في نفس الفنان فيقول : « انه ليس ثمة فن مجرد ، فلابد **من نقطة انطـــلاق ، ثم تعود فتمحو كل آثار الواقع** . ولكن فكرة الموضوع تكون قد خلفت أثرا لا سبيل لمحوه ، وهذه الفكرة هي التي حركت الفنان بلا شكمنذ البداية وهيالتي ولــدت لديه أفـــكارا خاصـــة وهي التي أثارت عواطفه وانفعالاته، ولابد في النهاية من ان يأتيالعمل الفني فيحتبس تلك الأفكار والانفعالات وكأنما هي مجرد أسرى له ... وهكذا يمكن القول ان علاقة الطبيعة بالفن هي **علاقة العـــالم الطبيعي بالعـالم الانساني الذي يلتمس الخلود عبر الصور المخلوقة !!**

وبجانب علاقة العمل الفني بالبيئة الطبيعية تثور

علاقته كذلك بالبيئة الاجتماعية ، وقد ابرز جيو (١٨٥٤ : ١٨٨٨ م) هذه العلاقة الاخيرة ، فالجمال ليس الا شعورا خصبا مليئا بالحياة ، والفن يحمل في ذاته مجتمعا مثاليا تبلغ فيه الحياة أعلى درجة في شدتها وانتشارها ، وميزة العبقرى الاولى هي قدرته الهائلة على التعاطف ونزوعه نحو التواصل الاجتماعي مما يجد معه نفسه مضطرا الى **خلق عالم** جديد من الموجودات الحية !!

نحن اذن نحس في العمل الفني اشياء غير المادة مهما رقت ولو استحالت نغمات أو ومضات ، وغير الحسي ـ مهما كانت الحواس دقيقة لماحة واعية نفاذه ٠٠٠٠ ونحن نرى برجسون في فلسفته عن (الحدس) يجعل الفن بمثابة عين ميتافيزيقية فاحصة ، فالفنان ينفذ عن طريق الادراك المباشر الى اغوار الواقع ٠ والى هذه الوجهة نزع شوبنهور (١٧٨٨ : ١٨٦٠ م) الذى ارتأى فى الفن نظرا وتاملا وتعاطفا مع الموجودات أو تطابقا مع الموضوعات ٠

وقد ثارت عدة تساؤلات حول الابداع الفني : هل هو من موهبة الفرد أم نتاج المجتمع ، هل هو من الهام العاطفة أم (تكنيك) الصنعة ؟؟٠٠٠٠ والاجابة على هذه التساؤلات تحمل الاشارة الى قدر له اثره وخطره من وراء المحسوس في عالم الفن٠٠

وقد حرص أصحاب المدرسة الاجتماعية في علم الجمال على تفسير عمليات الابداع الفني بالرجوع الى المؤثرات الحضارية والتيارات الجمالية السائدة ، مع تأكيد اهمية (الصنعة في عمل الفنان ، ودور الوعي الجمالي للمجتمع نفسه في توجيه الفنان نحو نزعة بعينها من النزعات الفنية المعاصرة ٠ على أن الابداع اذا لم يكن خلقا من العدم أو شرارة من الالهام ، فان من المؤكد ان **لكل عمل فني حقيقي طابعا أصيلا متفردا** قد لا يسهل ارجاعه الى غيره أو تفسيره بغيره ، وهذه هي الاصالة في الفن ، التي قد تحدث في مجرى التاريخ ـ على حد تعبير بولان ـ ضربا من الانفصال ٠

وكأنما هذا العمل الفني حقيقة فريدة تند عن كل تفسير وتتفلت من كل مقارنة ٠ وتنطوى عملية الابداع الفني على كثير من **العناصر الشعورية واللاشعورية** التي تتداخل وتتشابك ، وقد تتشابه مع عملية الولادة ، بما تستلزم من تلقيح وحمل وحضانة ٠ وهناك كثير من الأحداث الباطنية التي تتحقق في أعماق الفنان أثناء عملية الابداع الفني دون أن يكون هو على علم واضح بما يحدث في باطن نفسه ٠ ويرى دى لاكروا أنه الى جانب القوة الملزمة التي تنفجر فجأة في صميم الحياة العادية للشعور هناك عمليات سيكلوجية عديدة تتمثل في الاستعداد المنهجي والخبرات الحسية وشتى المحاولات القصدية والارادية ، على أنه لابد أن يكون للتلقائية الفردية دورها في الابداع الفني ، وليس يكفي الذكاء والذاكرة والخيال لكي يغدو المرء فنانا !! كما أن الفنان ليس مجرد أداة في يد قوة عليا لا شعورية ـ اللاشعور الجمعي عند يونج ـ حتى لكأن النوع هو الذي يعيش لا الفرد !! ان الابداع الفني عملية انتاجية تنطوى على الكثير من المخاطرة والمحاولة والمراجعة والمجاهدة والمثابرة !!!

ويرى كروتشه ان وظيفة العمل الفني **هي التعبير عن شخصية الفنان بأكملها** ، ويرى البعض ان العمل الفني لا يكون ترجمة ذاتية لصاحبه بل « **بلورة لحياة الفنان** » لا مجرد امتداد لها ٠ أما شارل لالو فيرى للفن وظائف متعددة الجوانب : فللفن وظيفة تكنيكية يمارس بها الفنان نشاطه الفني لذاته ويحيا في عالم من الصور الجمالية أو وظيفة كمالية يحقق بها الفن المتعة والترفية ووظيفة مثالية يجمل بها الفن واقعنا او يجسم لنا المثل الأعلى ،**ووظيفة تطهرية لانفعالتنا** اذ تستوعب المأساة في نطاق الخيال بصورة غير ضارة احتياجاتنا من الشعور بانفعالات الخوف أو الحب وما اليه ـ كما ذهب أرسطو ٠ كما أن للفن وظيفة تسجيلية للواقع ، يثرى بها الفن الحياة بزيادة شدة الاحداث ٠ أو باعادة عرض الحقائق مع لمسات من التغيير للتعبير !! ويقر (لالو) بأن الانسان بطبيعته حيوان ميتافيزيقي شغوف بالمطلق ، على أنه يضيف ان هذا الموجود المولع بالقيم تتوالى عليه المآزق لاستحالة قيام قيمة مطلقة

وقد اراد في مجال الفن ان يلتمس الجمال المطلق ، فراح **يخلط بين الخير والجمال** ليعثر على دعامة اخلاقية يقيم عليها ايمانه بالجمال ، ومن هنا جاء الاتجاه قديما وحديثا الى مزج الكمال الأخلاقي

بالكمال الجمالى ، فالجمال هو بهاء الخير والأخلاق هى جمال العادات !! ولكن وقع الخلاف بين المتطهرين ودعاة الاخلاق وبين دعاة الفن والجمال .

وقد يمثل هذا الخلاف ما بين تولستوى وبودلير من اختلاف !! .

ومهما يكن من أمر **فان الفن ـ كما يقول برنشفيك ـ يسدى الى الاخلاق خدمة جليلة بانتزاعنا من اسر التمركز الذاتى .**

لكى يحقق بيننا وبين الآخرين ـ عن طريق التذوق الفنى ـ مشاركة وجدانية فعالة !

والتذوق الفنى : تأمل ومشاركة فى الوقت نفسه .... فالموضوع الجمالى ينقل عن طريق المحسوس عاطفة خاصة تجعل الموضوع حاضرا حضورا واقعياعينيا . والادراك الجمالى يصرف النظر عن الذات لكى يوجه الاهتمام الى الموضوع المدرك ، وهذا يزيد من ثراء الذات ـ لانه ينمى الذوق

وهو القدرة على اصدار حكم جمالى يتجاوز الآراء الشخصية والميول الذاتية والافكار المسبقة ، حتى ليقال : **ان معايير الحكم الجمالى تحكى أخلاق الصدور !!**

ويحمل الاعجاب والتذوق الفنى معانى المشاركة أو التبادل .. وهكذا يحاول الانسان أن يرتقى الى مستوى الانسان الكلى :

ـ ولعل هذا ما عناه (كانت) حين نسب الى حكم الذوق طابعا كليا .

وهكذا لا يستطيع الفن فى مفاهيمه وتعاريفه أن ينفك عن الحديث : عن التذوق والابداع والأصالة ، عن الشعور واللا شعور والخبرة والتلقائية ، عن الجمال والقيم ...

والفن حتى عند أصحاب النزعة الواقعية أنفسهم لا يمكن أن يتخلى عن الجذور الوجدانية التى تضرب فى مجال وتتغذى على رحيق .. مهما قيل فيهما ، فهما مايزالان يتفلتان من قبضة الحس المباشر بأدواته المعروفة من حواس الانسان أو الآلات التى تضاعف طاقات ، الحواس فى الاحساس !!

فتحي عثمان

أساس العقاب فى الشريعة الإسلامية

للأستاذ أحمد فتحى بهنسى

انتهى بحث فقهاء القانون الغربيين الى أن العقوبة تدور فى فلك أفكار ثلاثة :

فكرة العدل والتكفير ، فالمجرم يجب أن يكفر عن خطيئته بجزاء رادع يتناسب مع درجة اختياره وقت الجريمة بصرف النظر عن ظروفه الشخصية .

وفكرة مصلحة المجتمع ، ومقتضاها ان المجتمع يجب أن يحمى كيانه ونظامه بمنع الاجرام كلية ، اما بمعالجة المجرمين أو استئصالهم طبقا لكل حالة بصرف النظر عن جسامة الجريمة .

وفكرة توفق بين العدل ومصلحة المجتمع دون أن تطغى فكرة على الأخرى .

وهذا الاساس هو الذى بنيت عليه التشريعات الحديثة ، فالعقاب فى العصر الحديث مفروض فيه ان يؤدى وظيفتين وظيفة خلقية ووظيفة اجتماعية .

وباستقراء العقوبات فى الشريعة الاسلامية نجد أن فهم فقهاء الغرب لمعانى العقوبة لم يخرج عما نهجت عليه نظرية الشريعة الاسلامية مع التفريق بين الحدود والتعزير :

الحدود :

الحد فى اللغة هو المنع ومنه يسمى البواب والحاجب حدادا لمنعه الناس من الدخول ويقال حده عن كذا : منعه منه ويسمى السجان حدادا لانه يمنع من فى السجن من الخروج منه .

والحدود فى الشريعة الاسلامية هى الجرائم التى تقع من الافراد وتخل بنظام المجتمع ، ويتدخل ولى الامر لعقاب مرتكبها . والمبدأ العام أنه لا يجوز فيها عفو ولا تقبل فيها شفاعة ولها عقوبة محدودة فى الشرع .

والحدود هى : حد الزنا وحد الشرب والسكر ، وحد القذف وحد السرقة والحرابة ويضيف اليها البعض حدى البغى والردة .

١ ـ حد الزنا :

قال الله تعالى :

« الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« خذوا عني ، خذوا عني فقد جعل الله لهن سبيلا ، البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام ، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم » .

فهذه النصوص تلحق بالجاني عقوبة قاسية ، ولكنها لم تهمل شخصيته ، فان كان غير محصن فعقوبته غير مهلكة ، وان كان محصنا فعقوبته الموت رجما .

ولكن الشريعة وقد وجدت أن هذه العقوبة شديدة جدا ، فرضت لاثباتها أمرا عسيرا ، فان كانت بالبينة فشهادة أربعة يشهدون بالرؤية فان كانوا ثلاثة جلدوا حد القذف حتى لا يتقدم للشهادة الا الواثق ، وحتى لو ثبت الامر بشهادة الاربعة فيلزمهم البدء بالرجم ، فان تخلفوا لا تجب العقوبة .

اما ان كان الاثبات باقرار المذنب فيجوز له العدول فيه .

من كل ماتقدم نجد أن الشريعة مع رغبتها الأكيدة في تحريم الزنا ، اذ أن فيه ضياعا للانساب وللحرمات ، وهتكا للاعراض لم تهمل شخصية الجاني بل تدرجت في العقاب بحسب حال الجاني في نفسه .

٢ ـ حد الشرب وحد السكر :

قال الله تعالى :

« يأيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ، انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون » .

وقد اختلفت الروايات في عقوبة شارب الخمر ، فقد جلد علي بن أبي طالب الوليد بن عقبة اربعين جلدة وفي البخاري أن عليا جلد الوليد ثمانين ، وفي الموطأ أن عمر استشار في حد الخمر فقال له علي : أرى أن تجلده ثمانين جلده ، فانه اذا شرب سكر ، واذا سكر هذى ، واذا هذى افترى ، فجلد عمر في حد الخمر ثمانين . وقد ثبت أن أبا بكر ضرب أربعين جلدة في شرب الخمر . وفي رواية أن عليا ضرب اربعين وضرب عمر ثمانين جلدة .

ويلزم أن نعلم أن اجماع الصحابة لم ينعقد على الثمانين جلدة التي جلدها عمر لشارب الخمر وتحمل الزيادة من عمر على أنها تعزير يجوز فعلها اذا رآها الامام .

وان الرسول عليه الصلاة والسلام لم يستقر الحد في زمنه على عدد معين وهذا فيه مراعاة لحال الجناة ، فمنهم من يستحق أن يضرب اربعين ومنهم من يستحق ان يضرب أكثر .

كذلك لم تكن هذه العقوبة الجلد دائما ، فقد قال أبو هريرة : ان الرسول أتى برجل قد شرب الخمر فقال : أضربوه . فقال أبو هريرة : فمنا الضارب بيده والضارب بنعله والضارب بثوبه .

كما ان اى عقوبة ، تتعلق بالضرب ، يرى الشارع الوضعي أنها تجدى في منع هذه الجريمة فهي شرعية اذ أن التجريم في هذا الشان لم تقدر له عقوبة بنص القرآن ، انما هي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم تحرى بها المصلحة العامة ونحن نتبعه . فمرد العقوبة هنا حفظ عقول الافراد اذ أن في حفظها حفظا لكيان المجموع ولم تهمل الشريعة شخص الجاني فمن كان مضطرا أو كان مكرها أو جاهلا فلا اثم عليه كما أن تحديد العقاب متروك في هذه الجريمة للقاضي وفقا لما يحقق المصلحة العامة .

كما قال بعض الفقهاء ان مدمن الخمر المشهور بالفسق لا بأس أن يطاف به ويفضح ، ومثل ذلك روى عن أشهب عن مالك في العتبية . ووجه ذلك أنه اذا بلغ هذا الحد من الفسق والفجور فواجب ان يفضح لأن في ذلك ردعا واذلالا له فيما هو فيه واعلاما للناس بحاله فلا يغتر به احد من أهل الفضل ، كما أن الامام مالكا استحب لمدمن الخمر المشهور بالفسق أن يلزم السجن قاله ابن حبيب .

٣ ـ حد القذف :

أصل هذه الجريمة هو ما نزل على النبي صلى الله عليه وسلم في القرآن :

« والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون ، الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم » .

فالمصلحة العامة تقتضي معاقبة القاذف بالزنا أشد العقاب ، فالقاذف غيره بالزنا لا سبيل للناس الى

العلم بكذبه فجعل حده تكذيبا له وتبرئة لعرض المقذوف منعا لهذه الفاحشة التى يحد بالجلد من قذف بها ·

وان الله تعالى قد كره اظهار الزنا والتكلم به وتوعد من يحب اشاعته فى المؤمنين بالعذاب الأليم فى الدنيا والآخرة · قال تعالى : « ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون » ·

٤ ـ حد السرقة والحرابة :

حد السرقة :

ان قطع اليد عقوبة شديدة فرضت لمصلحة المجموع وقد شرط الشارع شروطا مختلفة لاكتمال أركان السرقة فراعى بذلك حال الجانى فلا قطع فى أيام المجاعة والفقر ولا قطع لسارق القليل ولا قطع لمن يسرق الثمار من على الشجر ولا قطع لمن يسرق ليقتات أو يسد رمقه ·

روى عن الامام مالك فى الموطأ : ان رقيقا لحاطب سرقوا ناقة لرجل من مزينة فانتحروها · فرفع ذلك الى عمر بن الخطاب فامر عمر كثير بن الصلت بقطع أيديهم · ثم قال عمر : أراك تجيعهم ثم قال : والله لأغرمنك غرما يشق عليك ، ثم قال للمزنى : كم ثمن ناقتك ؟ فقال المزنى : قد كنت والله أمنعها من أربعمائة درهم فقال عمر اعطيه ثمانمائة درهم · قال عمر لعبد الرحمن بن حاطب : أما لولا أنى أظنكم تستعملونهم وتجيعونهم حتى لو وجدوا ما حرم الله لأكلوه لقطعتهم · ولكن والله اذ تركتهم لأغرمنك غرامة توجعك · ،

ومن هذا الأثر نرى أن الفاروق فهم من تشريع قطع اليد أنه عقوبة رادعة لمن يرتكب هذه الجريمة من غير حاجة تلجئه الى الاعتداء على مال الغير · وحين تبين له أن هؤلاء الغلمة اضطروا لما اجترموا بسبب ما نالهم من الجوع والحرمان ، لم ير أن يمضى عليهم حد السرقة ·

حد الحرابة :

قال الله تعالى :

« انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الارض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الارض · ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم ، الا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم » ·

عقوبة شديدة مقصود بها حماية الناس وأمنهم وحماية المجتمع من قطاع الطريق · ومع ذلك فان الشرع · أخذا بيد المجرم وتشجيعا له على الاستقامة والتوبة وتيسيرا عليه طمأنه على نفسه وعفا عنه ان حضر تائبا قبل القدرة عليه ، ولن يتوب الا من هو قابل للاصلاح وبقى عنده بعض من ضمير ·

٥ ـ حد البغى :

قال تعالى :

« وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ، فان بغت احداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى أمر الله · فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا ان الله يحب المقسطين » ·

وقد اتفق الفقهاء على أنه اذا خرج على امام المسلمين أو عن طاعته طائفة ذاتشوكة وان كان لهم تأويل فانه يباح للامام قتالهم حتى يفيئوا الى أمر الله تعالى فاذا فاءوا كف عنهم ·

وعلى ذلك فعقوبة المصر على البغى والخروج على الامام هى القتل ، وهى عقوبة منطقية ، لأن مرتكب هذه الجريمة يسبب فتنة واخلالا بالامن الداخلى قد يؤدى الى فساد كبير يترتب عليه ضرر على الأمة ·

روى مسلم فى صحيحه عن عرفجة الأشجعى قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من اتاكم وامركم جميع على رجل واحد يريد ان يشق عصاكم ويفرق جماعتكم فاقتلوه ·

وفى رواية : ستكون بعدى هنات وهنات ، فمن أراد أن يفرق أمر المسلمين وهم جميع ، فاضربوه بالسيف كائنا من كان ·

٦ ـ حد الردة :

قال تعالى :

« ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » ·

وقال صلى الله عليه وسلم :

من بدل دينه فاقتلوه ···

الى غير ذلك من الآيات والأحاديث التى وردت فى المرتد ·

وقد اتفق جمهور الفقهاء أن من ارتد عن الاسلام وجب قتله · وهذه الجريمة فيها شىء من المماثلة لجريمة تغيير النظام الاجتماعى فى الفقه الحديث وكلتاهما لها أثرها فى المجتمع · وحكم المشرع فى الجريمتين كان شديدا نظرا للآثار الخطيرة التى تتولد عن هذه الجرائم ·

ومع ذلك فان المرتد تترك له الفرصة ليتوب الى رشده ويرجع عن غيه فيحبس ثلاثة ايام بلياليها يستتاب فيها وهو قول عمر وعلى والامام مالك واصحاب الرأى وأحد قولين للشافعى • روى عن سيدنا عمر بن الخطاب أنه قدم عليه رجل من جيش المسلمين فقال : هل عندكم من مغربة خبر ؟ قال : نعم • رجل كفر بالله تعالى بعد اسلامه فقال سيدنا عمر رضى الله عنه • ماذا فعلتم به قال : تربناه نضرب عنقه : فقال سيدنا عمر : هلا طينتم عليه بيتا ثلاثا، وأطعمتوه كل يوم رغيفا، واستتبتموه لعله يتوب ويرجع الى الله سبحانه وتعالى ؟ اللهم انى لم أحضر ولم آمر ولم أرض اذ بلغنى •

فالعقوبة فى الحدود الشرعية يتحقق فيها الشقان العدل والتكفير ومصلحة المجتمع • قال أبو يوسف : حدثنى الحسن بن عمارة عن جرير بن يزيد قال : سمعت أبا زرعة بن عمر بن جرير يحدث أنه سمع أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : حد يعمل به فى الارض خير لأهل الارض من أن يمطروا ثلاثين صباحا •

القصاص والدية :

ونستطيع أن نلحق بالحدود الجرائم التى يعاقب فيها بالقصاص او الدية ، ان العقوبة هنا مقدرة حقيقة ، فالقاضى لا يستطيع أن يزيد أو ينقص منها ولا أن يعفو عن مرتكب الجريمة فيها ، ومع ذلك فقد فرض جميع هذا للمصلحة العامة • قال تعالى : « ولكم فى القصاص حياة يا أولى الالباب » •

كما أن الشرع بجانب مراعاته المصلحة العامة راعى حال الجانى فقد استقر الرأى على التفرقة بين العمد والخطأ والقضاء والقدر • فتتدرج العقوبة اذا استوفت الجريمة أركانها من القصاص الى الدية الى الأرش الى حكومة العدل فيما لا تكون فيه المماثلة فى المحلين بين المنافع والفعلين وهى تعدل التعزير •

وان كان الجانى مجنونا او صبيا أو مكرها فلا يجب القصاص ـ فكل ذلك فيه مراعاة لحال الجانى••

التعزير :

التعزير من العزر بمعنى الرد والردع وهو تأديب على ذنوب لم تشرع فيها الحدود ونظرية التعزير اكثر من سابقتها الحدود تظهر فيها النظرية الحديثة فى العقاب بشقيها • فالقاضى يجد أمامه المجال الواسع فى تطبيق العقوبات وان اتحد الجرم على مختلف الأفراد وفقا لما يراه يصلح كل واحد منهم فهناك من المتهمين من يصلحه مجرد التأديب وهناك من لا يصلحه الا الجلد أو الحبس • قال القاضى ابو يعلى الفراء :

ان تأديب ذى الهيئة من أهل الصيانة أخف من تأديب أهل البذاء والسفاهة لقول النبى صلى الله عليه وسلم « اقيلوا ذوى الهيئات عثراتهم » فان تساووا فى الحدود المقدرة فيكون تعزير من جل قدره بالاعراض عنه وتعزير من دونه بزاجر الكلام وغاية الاستخفاف الذى لا قذف فيه ولا سب ثم يعدل بمن دون ذلك الى الحبس الذى ينزلون فيه على حسب ذنبهم وبحسب هفواتهم ، فمنهم من يحبس يوما ومنهم من يحبس أكثر من ذلك الى غير غاية مقدرة ثم يعدل بمن دون ذلك الى النفى والابعاد اذا تعدت ذنوبه الى اجتلاب غيره اليها واستضراره بها » •

ويجب أن نعلم أن المقصود بمن جل قدره هو من ارتفع شأنه بالعلم والأدب لا بالغنى والجاه •

مما تقدم نلاحظ أن الشريعة وان اهتمت بمصلحة الجماعة فى الحدود اهتماما بالغا فانها لم تهمل شخصية المجرم اهمالا تاما مع أن الحدود من التشريعات الاساسية فى نظامها • وفى التعزير يلاحظ القاضى شخصية الجانى ملاحظة تامة فقد يشترك فى الجرم الواحد كثيرون ومع ذلك تتنوع العقوبات عليهم ، فما يزجر هذا قد لا يزجر ذاك • وهذا أرقى ما وصل اليه الفقه الغربى فى تفريد العقاب •

احمد فتحى بهنسى

•❊•❊•❊•❊•❊•❊•❊•❊•❊•❊•❊•

من شعر شوقى

لاتحذ حذو عصابة مفتونة — يجدون كل قديم شىء منكرا

ولو استطاعوا فى المجامع انكروا — من مات من آبائهم او عمرا

ولكل ماض فى القديم وهدمه — واذا تقدم للبناية قصرا

وانى الحضارة بالصناعة رثة — والعلم نزرا والبيان مثرثرا

احمد عبد الصمد

روايــة لــم تتــم

للأستاذ فؤاد دوّاره

كثيرا ما يخيل الى أن أدبنا المصرى الحديث ، على قرب عهدنا به ، قد اصبح غموضا من أدبنا فى عصره الجاهلى ، على بعد الشقة وكر السنين ، ويزيد من هذا الاحساس ما يردده بعض نقاد الصحافة بين الحين والآخر من ان فلانا من كتابنا الشبان هو رائد القصة القصيرة بلا منازع وان زميله «علانا» هو أول من ارتاد طريق المسرحية المصرية .. وهكذا ..

ويترتب على هذه المزاعم الخاطئة اختلاط تاريخنا الادبى فى الاذهان ، وضياع كثير من حلقاته الهامة وسط عمهمات المجاملة التى لا تعتمد على درس أو استيعاب جاد لآثار السابقين ومحاولة وصلها بانتاج اللاحقين .. واذا بهذه النظرة الجزئية القاصرة تحول انتاجنا الادبى الى لبنات مفككة متناثرة فى عرض الطريق لا يقوم منها بنيان ، ولا يتكون منها أدب متماسك الحلقات على النحو الذى تعرفه كل الشعوب ، فضلا عما فيها من جحود لجهود الرواد الحقيقيين ونكران لفضلهم .

ومحمد تيمور ــ الشقيق الأكبر للاديب المعروف محمود تيمور من هؤلاء الرواد الذين لم يأخذوا بعد مكانهم الحق فى تاريخ ادبنا الحديث . لقد قضى عام ١٩٢١ فى ريعان شبابه ، بعد أن ضرب بسهم وافر فى ميادين المسرح والقصة القصيرة والشعر والنقد الادبى والاجتماعى ، كما كان له أعمق الأثر على مجموعة كبيرة من معاصريه من الادباء والفنانين من أمثال شقيقه محمود تيمور ، وأحمد خيرى سعيد، وطاهر لاشين ، والدكتور حسين فوزى ، وزكى طليمات .. وغيرهم من أعضاء « المدرسة الحديثة » التى كان لها دور واضح فى تطوير حياتنا الفكرية والفنية منذ أواخر الربع الأول من هذا القرن .

لقد اتجهت هذه المدرسة بحماسة شديدة الى الثقافة الأوربية تنهل من آثارها وتثرى تفكيرها ووجدانها ، وعملت فى الوقت نفسه ، وبالحماسة نفسها ، على تدعيم الطابع القومى فى انتاجنا الفنى والأدبى . وكان محمد تيمور هو روح هذه المدرسة ، وواضع مخططها باتجاهيه .

اننا حين نذكر محمد تيمور اليوم ، وقلما نفعل ، فانما نذكره كرائد من اوائل رواد المسرحية والقصة القصيرة فى أدبنا ، ولكننا لا نذكره شاعرا أو ناقدا أو روائيا ..

فاسماعيل أدهم حين يذكره فى كتابه عن «توفيق الحكيم» ، يقول عنه :

« أما محمد تيمور فكان صاحب فن فيه روح البناء والانشاء ، فسرعان ماقدم مجموعة من القصص عرفت باسم « ما تراه العيون » ، كما كتب عدة مسرحيات رفعت المسرحية العربية فى مصر من الحدود المحلية التى أوقفها عندها ابراهيم رمزى وفرح انطون وعباس علام وحسين رمزى الى المستوى العادى للمسرحية الاوروبية .. »

ويكتب عنه يحيى حقى فصلا شيقا يعرف فيه بحياته ، ويشير الى مسرحياته ، ثم يقول عن قصصه :

« .. لم تشغل القصة اذن من أدب محمد تيمور الا جزءا ضئيلا ، فان غرامه انصرف الى المسرح كما رايت ، ومع ذلك فلا يكمل تاريخ القصة الا بالوقوف عند آثاره القليلة ، وتأمل دلالاتها .

والى جانب هذه الجهود الرائدة فى القصة القصيرة والمسرحية ، وضع محمد تيمور كذلك لبنة فى بناء الرواية المصرية لم يقدر لها أن تكتمل ، ولا نريد نحن أن نغالى فى تقدير قيمتها الفنية ، ولكننا نراها مع ذلك حلقة من المحاولات الروائية المبكرة فى أدبنا جديرة بأن نتوقف عندها لنتأمل دلالتها الفنية والفكرية .

يحدثنا محمود تيمور عن هذه الرواية قائلا :

« .. الظاهر أنها أول عمل قصصى له . كتبها بعد خروجه من مدرسة الزراعة العليا ، ولم يكن قد كتب شيئا من قصصه قبل ذلك الوقت ، فكانت بمثابة تمرين له على الكتابة القصصية ، ظهرت فيها مواهبه ، وتجلت تلك القوة الخفية المنبئة بمستقبل جميل فى هذا النوع ، «فالشباب الضائع» بأوصافها ومشاهدها وأحاديثها واشخاصها وتحاليلها النفسية جلية واضحة يعلم منها القارىء انبثاق عبقرية تيمور واشراقها ، فهى فجر تآليفه ومقدمة ذلك العمل الجليل .. »

ومعنى هذا أن محمد تيمور ألف روايته حوالى عام ١٩١٤ ، وهى السنة التى ترك فيها مدرسة الزراعة بعد بضعة أشهر من التحاقه بها .

فاذا تذكرنا أن رواية «زينب» للدكتور محمد حسين هيكل ، وهى التى يجمع النقاد والدارسون

على اعتبارها أول رواية مصرية ، لم تظهر الا عام ١٩١٤ ، وانها لم تثر اهتماما كبيرا في ذلك الحين، أصبح بوسعنا أن نرجح أن محمد تيمور لم يقرأها قبل أن يكتب روايته ، فليس بينهما أى تشابه فى الاسلوب او المضمون ، هذا اذا لم يكن قد كتب روايته قبل أن تظهر « زينب » . وفى الحالتين لا يكون قد تأثر بها ، وانما تأثر بما قراه من روايات أجنبية مترجمة الى العربية ، ثم روايات فرنسية قرأها أثناء اقامته بباريس فيما بين عامي ١٩١١ ، ١٩١٤ .

ان رواية « الشباب الضائع » لمحمد تيمور تقف من حيث التسلسل الزمني الى جوار «زينب»لهيكل، وهذه الحقيقة وحدها تكسبها اهمية خاصة ، فاذا كانت لا ترتفع الى مستواها الفني والتعبيري ، فلا شك انها تتفرد عنها بمزايا خاصة تسمح لنا ان نزعم انها لو تمت لـكانت جديرة بان تأخذ مكانها فى تاريخ الرواية المصرية .

تعرض الرواية حيـاة طالب فقير بالمدرسة الخديوية الثانوية يدعى « حسـن » يهوى الادب والكتابة ، ويتمنى لو يصبح كاتبا مشهورا كهؤلاء الكتاب الكبار الذين يقرأ لهم فى الصحف . وهو يعيش وحيدا مع امه بعد أن توفى أبوه ، وفى المنزل المقابل يسكن خاله ، و «حسن» يهوى ابنة خاله « لبيبة » ، ويخلص لها الحب ، ويقضى الساعات فى نافذته يناجيها ويشكو لها متاعبه فى المدرسة ، ويبوح لها بآماله فى المستقبل .

وتتعثر محـاولات حسن فى نشر مقـالاته فى الصحف ، اذ يغار منه بعض زملائه ويدبرون له المؤامرات كي يفشل فى مسعاه .

وحين يوفق أخيرا فى نشر مقال بجريدة «الفاروق» تصيبه الاقدار بسهم آخر ، فينقل خاله الى أسيوط ويحرم من رؤية ابنة خاله التى ملكت عليه قلبه وكل مشاعره .

ويبدأ القسم الثانى من الرواية بعد مرور عامين، فنرى « حسن » وقد أصبح طالبا فى السنة الرابعة الثانوية ، لم يبق على امتحانه سوى أسبوعين ، انه الآن ينشر مقالاته بانتظام فى جريدة « الفاروق » ، وصاحبها معجب بمواهبه حتى ليعرض عليه وظيفة رئيس قسم الترجمة بالجريدة بمجرد تخرجه .

وبهذه الفصول ينتهى ما كتبه محمد تيمور من الرواية ، ولكنه ترك بين أوراقه تخطيطا عاما لبقية أحداث الرواية هذا نصه :

١ ــ حسن يرسل لحبيبته خطابا باسـم صاحبة لها مدرسة .

٢ ــ امتحان البكالوريا ــ سقوط حسن .

٣ ــ خطاب من حبيبته .

٤ ــ مشاجرة مع أمه . لا يريد دخول الامتحان مرة أخرى . أول مرة أهان امه فيها .

٥ ــ يرد على خطاب حبيبته ويعتذر اليها .

٦ ــ دخوله الفاروق كمحرر .

٧ ــ أصبح محررا وأصبحت حياته كما يأتى : يقضى عصر يومه فى القهاوى وليله فى محال الخمور .

٨ ــ يتعرف بشبان أغنياء يغرونه على القمار .

٩ ــ أصبح حسن مقامرا .

١٠ ــ مشاجرة مع والدته من أجل القمار .. انه فى احتياج شديد للدراهم تقرضه والدته .

١١ ــ الوالدة تبيع حليها .

١٢ ــ يتعود الذهاب متأخرا لدار الفاروق ويبدأ أن يهمل أعماله .

١٣ ــ يذهب الى احدى الحانات ليلا فيقضى فيها ليلته للصباح ثم يقصد دار الفاروق ثملا مترنحا .

١٤ ــ يطرد نهائيا من دار الفاروق .

١٥ ــ أصبح حسن محررا صعلوكا يعيش عيشة الأدنياء الساقطين » .

من اهم مايلفت النظر فى هذه الرواية الناقصة أنها أول محاولة فى أدبنا ــ فيما نعلم ــ لتصوير حياة المراهق وازماته.وهو موضوع أصبح مالوفا فيما بعد ، وخاصة بعد أن عالجه توفيق الحكيم باسهاب واقتدار فى رائعته « عودة الروح » التى كتبها عام ١٩٢٧ ونشرت عام ١٩٣٤ ، بحيث يجوز أن نفترض نوعا من التأثر بين الروايتين ، على الأقل من ناحية اختيار المجال النفسى الذى تدوران فيه .

واذا كان من المسلم به أن « عودة الروح » تمثل نوعا من الترجمة الذاتية لكاتبها فى فترة معينة من حياته ، تدخل فيها الخيال بقدر ليخفى بعض معالم الشخصيات الحقيقية ، ويساعد على حبك الاحداث وترابطها ، فالشيء نفسه يمكن أن يقـال عن رواية « الشبابالضائع » لمحمد تيمور فالتشابه واضح بينه وبين بطل روايته ، فكلاهما كان طالبا بالمدرسة الخديوية الثانوية ، وكلاهما اغرم بالأدب والكتابة منذ مرحلة مبكرة من حياته ، وكلاهما نشرت له

الصحف الكبرى وهو مازال تلميذا . كل هذه صفات مشتركة بين بطل الرواية كما وصفه مؤلفها، وبين المؤلف نفسه كما وصفه شقيقه في مقدمة المجلد الاول من مؤلفاته .

ويصف محمد تيمور بطله بانه « .. شاب اسمر اللون ، نحيف القوام ، اقنى الانف ؛ اسود العينين يرى الناظر فيهما اثرا للحزن والتفكير » وهي نفس سمات محمد تيمور نفسه كما تبدو في كل صوره ، وكما يؤكد معاصروه . ومن ناحية التكوين النفسى نجد البطل شديد الحياء ضعيف الارادة ، يظل المؤلف يلح في الصاق هذه الاوصاف وامثالها به ، فاذا قرانا المقدمة التى كتبها زكي طليمات للمجلد الثاني من مؤلفات محمد تيمور ، ومن المعروف انه كان أقرب أصدقائه اليه والصقهم به ، وجدناه يحلل شخصيته ويصفه كذلك بانه شديد الخجل ، متردد ؛ ضعيف الارادة يفتقر الى الجراة والصراحة .

***

وهكذا يتاكد لنا بما لا يدع مجالا للشك ان «الشباب الضائع» نوع من الترجمة الذاتية لمؤلفها، لم يتدخل فيها الخيال الا بقدر ، تماما كما جاءت «عودة الروح» بعد ذلك ترجمة ذاتية لتوفيق الحكيم، لم يتدخل فيها الخيال الا بقدر ..

***

وتمتاز « الشباب الضائع » كذلك بأسلوبها البسيط القريب من النفس لبعده عن الافتعال والأسجاع والمحسنات البديعية ، واستخدام الكلمات الصعبة والصيغ المحفوظة وهي السمات الغالبة على أسلوب الكتابة حتى ذلك الحين ، ولا يمكن ان نقدر هذه الميزة حق قدرها الا اذا رجعنا الى بعض كتابات العصر ولمسنا ما فيها من تكلف وتصنع واغراب ، لندرك الى اى حد كان اسلوب « الشباب الضائع » البسيط المباشر نقلة هامة فى أساليب الكتابة الفنية ، مهدت لما جاء بعد ذلك من نقلات وتطورات .

***

فاذا تأملنا بناء الرواية لاحظنا – رغم نقصه – أنه يميل بشكل عام الى البساطة والبعد عن التعقيد، وان مثل مع ذلك مرحلة متقدمة نسبيا . فالاحداث تترى فى تسلسل منطقى مقنع ؛ والشخصيات تتطور دون افتعال او مفاجآت قدرية ، والكاتب يحسن وصف الاجواء والاشخاص، ولا يتدخل كثيرا فى سياق الاحداث ليعلق عليها ، أو يسترسل فى أحداث ومواقف فرعية بعيدة عن موضوعه الاصلى وشخصياته الرئيسية . ولكننا نلاحظ فى الوقت نفسه ، وهو أمر طبيعي جدا في هذه المرحلة ، غلبة الوصف التقريرى المباشر للشخصيات دون محاولة التغلغل فى نفوسها ووصفها من الداخل الا فى موقف أو موقفين .

***

ويستعين الكاتب بالحوار فى معظم مواقف الرواية ، وان كتبه باللغة الفصحى على غير ما نتوقع من كاتب شاب متحمس لتمصير الادب والفن . وهذه الحقيقة تذكرنا بمسرحيته الاولى « العصفور فى القفص » فقد كتبها باللغة الفصحى في بادىء الامر ومثلت بها بالفعل ، ولكنه أعاد كتابتها بالعامية لانه وجدها أقدر على التعبير عن شخصياته ثم كتب كل مسرحياته التالية بالعامية . وهذه الحقيقة تؤكد ان « تيمور » ألف « الشباب الضائع » فى مرحلة مبكرة من حياته كما اشار الى ذلك شقيقه محمود تيمور ، بحيث يصح أن نفترض انه لو عاد اليها بعد ذلك لكان من المحتمل أن يعيد كتابة حوارها بالعامية كما صنع فى مسرحية «العصفور فى القفص» وفى حوار بقية مسرحياته . ومع ذلك فالحوار العربى فى الرواية يقوم بدور فنى هام ويؤكد ملكته المسرحية التى استأثرت فيما بعد بجل جهوده .

***

وتبقى بعد ذلك سمتان رئيسيتان نلمسهما فى الرواية بنفس الوضوح الذى نلمسهما به فى معظم ماكتبه محمد تيمور . أولاهما : ذلك الحزن الرومانسى الغالب على معظم أجزائها ، وبصورة ساذجة مبالغ فلها معظم الاحوال ، فما يكاد البطل يتعرض للفشل حتى تتساقط دموعه مدرارا ، بل يصل به الأمر فى أحد المواقف الى أن يهشم الدواة ويمزق الورق ويلقى بنفسه على الارض يلطم وجهه بكفيه !

***

أما السمة الاخرى فهى ميل الكاتب للنقد

الاجتماعى وانشغاله باصلاح الفاسد من أوضاع المجتمع وعادات قومه · فينجح حينا فى تحقيق هذا الهدف دون أن يخرج كثيرا على مقتضيات الفن القصصى وسياق روايته ، ويفشل حينا آخر حين يتحول النقد الى وعظ اجتماعى مباشر لا يمت للموقف الروائى بصلة · ومن أمثلة توفيقه تلك الصورة الصادقة التى قدمها لبعض الصحفيين المرتزقة وبعض الاعيان المنافقين اما امثلة الوعظ المباشر فهى قليلة فى الرواية ·

***

هذه هى المحاولة الروائية لمحمد تيمور ، لانريد أن نغالى فى تقدير قيمتها ، ولكنا لا نريد لها كذلك أن تنسى تماما ، فلا تعتبر من الحلقات التى أسهمت فى تطور الرواية المصرية بصورة أو بأخرى ·

***

ولعل من الخير أن نذكر هنا ، أن محمد تيمور له محاولتان اخريان فى ميدان الرواية ، الاولى باللغة العربية ، لم يكتب منها سوى فصل واحد عنوانه « جلال الموت » وصف فيه جنازة تسير فى شارع محمد على ، وهو يتمشى مع ذلك الطابع الحزين القاتم الذى لاحظنا غلبته على معظم شعره ونثره ، والمحاولة الاخرى باللغة الفرنسية عنوانها «الفتوة» لم يكتب منها كذلك سوى فصلها الاول . وكان يريد كذلك أن يؤلف كتابا عن تاريخ مصر والنيل بأسلوب قصصى ، نشر منه فصلا فى مجلة «السفور» وعثر بين أوراقه على مذكرات حول هذا الكتاب وشذرات منه .

***

كل هذه الاعمال كان المفروض أن تتم وتسهم فى اثراء أدبنا الحديث فى تلك المرحلة المبكرة من تاريخه ·· ولكنا لا نعجب مع ذلك لانها تركت ناقصة .. فالرواية الكبيرة ذاتها التى قام فيها محمد تيمور بدور البطولة حقا دون اى تدخل من الخيال ·· هذه الرواية نفسها لم تتم فصولا ·· ومات بطلها قبل أن يتم عامه التاسع والعشرين ·· فهل نعجب بعد ذلك اذا ترك وراءه رواية أخرى — أو روايات — لم تتم ؟!!

فؤاد دواره

العقيدة والشريعة فى أسفار اليهود وما أصابهما من تزييف وتحريف

الدكتور على عبد الواحد وافى (١)

كانت الديانة اليهودية فى اصلها ديانة توحيد ، تتصف فيها الذات العلية بصفات الوحدة والكمال والتجرد من جميع مظاهر النقص والمخالفة للحوادث فى كل شىء ، كما هو الشأن فى الدين الاسلامى ·

ولكن يظهر من التامل فى أقدم اسفار توراتهم المزعومة ، كسفر التكوين ، ان فكرة الالوهية لديهم كانت قد انتكست فى عصر تدوينهم لهذه الأسفار ، فتصوروا الله تعالى فى صورة مجسمة ، ووصفوه بكثير من صفات النقص والضعف والكذب والغفلة والجهل ، وظهر تصورهم هذا فى كثير من قصص هذه الأسفار ·

فمن ذلك مثلا ما يرويه سفر التكوين فى قصة آدم وحواء وأكلهما من الشجرة واخراجهما من الجنة ، اذ يذكر أن الله تعالى قد نهاهما عن الاكل من شجرة المعرفة ، وخوفهما مضللا بهما ومخفيا عنهما حقيقة هذه الشجرة ، فذكر لهما ان الاكل منها يفضى الى الموت ، مع أن الاكل منها يفضى الى رقى التفكير وانحسار أغطية الجهل وانبثاق نور المعرفة ، ولكن الاله كان يريد ابقاءهما جاهلين · ولما أغرى الثعبان حواء بالاكل من هذه الشجرة وانساق معها زوجها ادركا ما كانا يجهلانه من قبل ، فعرفا أنهما مكشوفا السوءتين ، وأنه لا يليق أن يقابلا ربهما وهما على هذه الصورة · ولما قدم الاله نحوهما مخترقا طرق الجنة وسمعا صوته وحركته فى أثناء سيره ، اختبآ حتى لا يراهما عريانين ، وأخذا يخصفان على عورتيهما من ورق الجنة · فناداهما ربهما وأخذ يستجوبهما واستنتج من فعلتهما ومن استجوابهما أنهما لا بد أن يكونا قد أكلا من الشجرة ، وأن ذلك قد جعلهما يعرفان حقيقة أمرهما ، وأن الانسان قد اصبح بذلك « احد الآلهة ، لتمييزه بين الحسن والقبيح » ، وأنه قد أصبح لزاما أن يطرد من الجنة حتى «لا تمتد يده كذلك الى شجرة أخرى هى شجرة الخلد ، فيكفل لنفسه أرقى صفات الآلهة وهى صفة البقاء» ·

ومن ذلك أيضا ما يرويه سفر التكوين في قصة اهلاك قوم لوط وتدمير قريتي سودوم وجوموره اذ يذكر أن ثلاثة «رجال» ، وهم الله وملكان معه ، قدموا على ابراهيم وهو جالس أمام خيمته ، وأن ابراهيم قد عرف الله من بينهم ، ورجاه أن يستريحوا عنده قليلا من وعناء سفرهم، وقدم لهم ماء لشربهم وغسل أرجلهم ، وفطائر وعجلا حنيذا لطعامهم ، فانتحى ثلاثتهم تحت ظل شجرة ، وأخذوا يأكلون مما قدمه اليهم ، وابراهيم جالس على مقربة منهم . ثم تفقد الله زوجه سارة وسأله عنها ، وأخذ يبشرها ويبشر ابراهيم بأنه سيمر عليهما في هذا الموعد نفسه من السنة القادمة فيجدهما قد رزقا غلاما زكيا . ثم اشتبك معه ابراهيم في نقاش وجدال ومساومة حول القريتين اللتين يريد اهلاكهما بغية أن يثنيه عن ذلك ، لان بعض أهلها اتقياء ، ولا يصح أن يؤخذ المحسن بذنب المسيء .. الى آخر ما جاء في هذه القصة .

بل ان هذه الاسفار لتدل على أنهم كانوا يعتقدون بتعدد الآلهة . فكانوا يرون أن ثمة الها خاصا بشعب اسرائيل يختلف عن آلهة الشعوب الاخرى .

ثم أخذ تصورهم للذات العلية يرقى شيئا ، ويتخلص من شوائب النقص والتجسيم ، كما يبدو ذلك في أحدث أسفار توراتهم المزعومة ، كسفر التثنية وسفر اللاويين . غير أنه قد بقي لديهم الاعتقاد بأن لهم الها خاصا بهم ، وهو اله اسرائيل ، وأنهم هم أبناؤه وأحباؤه ، وأن لغيرهم من الامم آلهة أخرى . ولم يتخلص الههم هذا كل التخلص من جميع صفات الحوادث ، بل ظل عالقا به في نظرهم بعض هذه الصفات . فمن ذلك ان احدث أسفار توارتهم المزعومة وهو سفر اللاويين يذكر في اكثر من موضع أن الضحايا « المحرقة » (وهي التي تحرق اجزاؤها في المذبح تحت اشراف أحد اللاويين) يرتاح لها الاله ويفيد منها وينتعش من رائحة الدخان المتصاعد من حرقها ، وأنه يغضب كل الغضب اذا لم تقدم اليه أو اذا قدمت اليه في صورة غير الصورة المقررة في شريعتهم ، وأنه قد يصب حينئذ سوط عذابه على المقصرين فيرسل عليهم نارا تحرقهم . وعلى مزاعمهم هذه يرد الله تعالى في القرآن الكريم اذ يقول : « لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن ينالهالتقوى منكم » ، ويقول في هدي الحج : « فكلوا منها واطعموا البائس الفقير » . بل لقد اعتقدت بعض فرقهم بوجود ابن لله ، واتخذت بعض فرقهم احبارهم اربابا من دون الله كما يخبر بذلك القرآن الكريم عنهم وعن النصارى اذ يقول : « وقالت اليهود عزير بن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ، ذلك قولهم بافواههم ، يضاهئون قول الذين كفروا من قبل ، قاتلهم الله ، انى يؤفكون . اتخذوا احبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح بن مريم ، وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا ، لا اله الا هو ، سبحانه عما يشركون » .

وفي هذا دليل على أن أسفارهم هذه من صنع أيديهم ، على مبلغ الخلاف بين توراتهم المزعومة والتوراة الصحيحة التي أنزلها الله على موسى « نورا وهدى للناس » .

واما فيما يتعلق بشرائعهم فقد تضمنت أسفار العهد القديم والتلمود تنظيما كاملا لشئون الدين والدنيا معا، فلم تغادر أية ناحية من نواحي العبادات وشئون المعاملات والسياسة والاقتصاد والاسرة والقضاء والتربية والاخلاق والحرب والعلاقات الدولية وواجبات الفرد نحو نفسه واسرته ووطنه... وما الى ذلك ، لم تغادر أية ناحية من هذه النواحي وغيرها الا وضعت لها حدودا وقواعد ، وبينت ما ينبغي أن تكون عليه ، وما يجب اتخاذه في حالة الخروج عليها، حتى شئون الاكل والشرب والعلاقات الخاصة بين الرجل وزوجه والحيض والنفاس والزراعة والحصاد واستخدام الانعام في الحرث : كل ذلك عرضت له في صورة مفصلة دقيقة على النحو الذي تسير عليه الموسوعات في كتب الفقه الاسلامي .

غير أنه يلاحظ في هذه الشريعة مظهران كبيران من الانحراف والتضارب : أحدهما قيامها على التفرقة العنصرية ، والآخر عدم وحدتها واختلاف الاحكام الواردة في كثير من الشئون باختلاف أسفارها .

١ – أما قيامها على التفرقة العنصرية فذلك أنها تجعل اليهود الشعب المختار الذي اصطفاه الله وفضله على العالمين ، وتنظر الى ما عداه من الشعوب نظرتها

الى شعوب وضيعة في سلم الانســـانية ، وتضع قوانينها ونظمها على هذ االاساس ، تتفرق بين هؤلاء واولئك امام القانون وفى كثير من شئون الاجتماع . فمن ذلك مثلا أن الاسرائيليين محرم عليهم ان يقتل بعضهم بعضا وان يخرج بعضهم بعضا من ديارهم ، على حين أنه مباح للاسرائيليين ، بل واجب عليهم ، غزو الشعوب الاخرى ، وخاصة شــعب كنعان ، وواجب عليهم بعــد انتصــارهم على بلد ما ، « ان يضربوا رقاب جميع رجالهـا بحد السيف » ، والا يبقوا على أحد منهم ، ويسترقوا جميع نسائهـــا وأطفالها ، ويستولوا على جميع ما فيها من مال وعقار ومتاع ، أو « ينهبوه » نهبا حسب تعبير أسفارهم . ومن ذلك أن الاسرائيلى اذا باع نفسه بيعا اختياريا لأخيه الاسرائيلى فى حالة عوزه وحاجته الى المال فان رقه يكون موقوتا بأجل يرجع بعده الى حريته ، على حين ان الرق المضروب على غير الاسرائيلى يظل أبد الأبدين . ومن ذلك أنه ما كان يجـوز للاسرائيـلى أن يتعامل بالربا مع أخيه الاسرائيلى ولا أن يأخذ منه رهنا بدينه ، واذا أخذ منه فى الصباح رهنا من المتاع الذى لا يستغنى عنه فى حياته اليومية كالرحا وما اليها وجب أن يرده اليه فى المساء ، اما غير الاسرائيلى فمباح للاسرائيلى أن يمتصه ويتعامل معه بأشــنع انواع الربا الفــاحش . بل ان أســفارهم لتقرر أن شعب كنعان قد كتب عليه فى الازل أن يكون رقيقا لبنى اسرائيل ، وأنه لا ينبغى أن يكون لأفراد هــذا الشعب وظيفــة ما فى الحياة غير هــذه الوظيفة ، فان تمردوا عليها أو طمحوا الى الاستقلال وجب على بنى اسرائيل أن يردوهم اليهــا بحــد السيف . وتقرر أسفارهم أن هذا الوضع قد فرض عليهم لدعوة دعاها نوح على كنعان ونسله . وذلك أن نوحا ـ حسب ما يزعمه سفر التكوين ـ قــد شرب مرة من نبيذ العنب الذى غرس كرمه بيــده بعد الطوفان بدون أن يعلم خاصته المسكرة ، ففقد وعيه وانكشفت ســـوأته ، فرآه ابنه حام على هذه الصورة ، فسخر منه ، وحمــل الخبر الى أخويه ســـام ويافث . ولكن هذين كانا أكثر أدبا منه ، فحملا رداء وسارا به القهقرى نحو أبيهما حتى لايقع نظرهما على عورته وسترا به ما انكشف من جسمه . فلما أفاق نوح وبلغه ما كان من موقف أولاده حياله لعن كنعان بن حام ، ودعا على نسله أن يكونوا عبيدا لعبيد أولاد سام ويافث .

٢ ـ وأما عدم وحدتها فذلك أن أحكام أسفارها يتضــارب بعضهـا مع بعض فى كثير من الشئون . فقد يقرر سفر فى حادث ما حكما ، ويجىء ســفر آخر فيقرر فى الحادث نفسه حكما آخر . فمن ذلك مثلا أن سفرى الخروج والتثنية يقرران أن الاسرائيلى الذى يبيع نفسه اختيارا لاخيه الاسرائيلى فى حالة عوزه وحاجته الى المــال لا يدوم رقه الا مدة ست سـنين ، على حين ان سـفر اللاويين يقــرر ان رقه لا ينتهى الا بحلول « اليـوبيل » الاسرائيلى (وهو العيد الذى يجىء كل خمسين سنة) أيا كانت المدة التى قضاها فى الرق قبل ذلك ، فيمـكن بحسب هذا السفر أن يدوم رقه خمسين سنة الا يوما او أياما اذا استرق عقب العيد الخمسينى مبــاشرة . ومن ذلك أيضــا أن توراتهم المزعومة تبيح للاسرائيلى ، رجلا كان أو امرأة ، أن يبيع نفسه لاخيه الاسرائيلى فى الحالة السابق ذكرها ، وفى ذلك يقــول سفر التثنية : « اذا باعك نفسه أحد من اخوانك ، سواء أكان رجــلا أم امرأة ، فانه يخدمك ست سنين » . على حين ان أسفار التلمود لا تجيز ذلك الا للرجل وحده .

وفى هذين المظهرين اللذين تتسم بهمـا شريعة اليهود دليل آخر على ان اســـفارهم هذه من صنع أيديهم ، وعلى أن كل سفر منهـــا يعكس التقاليد والنظم التى كانوا يسيرون عليهـا فى العصر الذى ألف فيه ، وعلى مبلغ الفرق بين توراتهم المزعـومة والتوراة الصحيحة التى انزلها الله على موسى . فان كتابا من عند الله لا تتضــارب أحكامه بعضها مع بعض : « افلا يتدبرون القرآن ؟! ولو كان من عند غـير الله لوجدوا فيــه اختلافا كثـيرا ! » ، وان شريعة من عنــد الله لا تقر التفرقة العنصرية بين أفراد الآدميين : « ياأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان أكرمكم عنــد اللهأتقــاكم ان الله عليم خبـير » ، « لا فضــل لعربى على عجمى ، ولا لأحمر على أبيض ، ولا لأبيض على أحمر ، الا بالتقوى » .

دكتور على عبد الواحد وافى

من تاريخنا القريب

جهالة حاكم مستبد

للأستاذ محمد رجب البيومي

تثبت التجارب أن تكتم الانباء يزيدها انتشارا وذيوعا ، وأن اعلان الحقيقة السافر يحد من التزيد والاختلاق، وقد كان حاكم مصر الغشوم عباس الاول يعيش حياته الخاصة ـ فى صمت ساكن مريب فهو ينتقل بين قصوره المختلفة فى شتى البلاد دون أن يجرأ أحد من المقربين اليه على سؤاله حتى عن موعد عودته الى القاهرة ، وكانت له مآس انسانية صارخة جاهد فى اخفاء حقيقتها عن الناس ، ومع ذلك فقد وكلت بها الالسن رواية وتحليلا ، فعرفها القاصى والدانى من أبناء الشعب ، وكانها نشرات سياسية تذاع طوال اليوم على فترات! بل ان غرامه بزوجته البدوية على ضآلة اثره وتفاهة موقعه كان يروى فى المنازل مسرود الحوادث مسجل الوقائع ، فى وقت أطبق فيه الطغيان بجبروته الفردى المستبد ، وتحكم الجهلة من الأغوات وبقايا المماليك والخدم فى الناس اذ يرجفون بالمكيدة ويختلقون الدسيسة ثم يسوقون صاحبها البرىء الى حتفه المبيد بعد أن يكونوا قد أوغروا عليه صدر الطاغية بما يأفكون، فيأتيه الموت من كل مكان ارضاء لنزوة جامحة ، واشباعا لجبروت صوال !

أما ما يمكن أن يفيدنا من عظات هذا الرجل المستبد : فسيتضح من متابعة بعض كوارثه التى نشير اليها بهذا المقال .

كان طوسون نجل محمد على مثال الغلظة والقسوة، وهو بطل مذبحة المماليك الذى أشرف على تنفيذها بجراة لا تتخللها الانسانية والوفاء ، وقد شاءت له الاقدار أن يموت مصابا بالطاعون فى جذوة شبابه تاركا نجله عباس فى رعاية جدة عجوز تدلله وتمنيه، ولم يجد محمد على من الفراغ ما يسمح له بتعهد حفيده، وتركه مهملا فى أحضان الاغوات والخدم ممن أخذوا يتملقونه ويملأون آذانه بما يضخم كبرياءه ويضرى شهوته ، ثم زادوا فأوهموه أن عمه ابراهيم هو الذى تسبب فى مقتل والده طوسون كيلا يزاحمه على عرش البلاد ،فنشأ ناقما ساخطا يرى عمه بعين الكراهية والحقد ، ولو استطاع أصابه بشره الناقم ! وانى له ، وابراهيم فتى المعارك ، ورجل السياسة ، يعهد اليه محمد على بما جل من الامور ويلتف حوله أعيان البلاد ورؤساء الادارات والمصالح ! بينما يقبع عباس فى أحد قصور القاهرة، يقتل فراغه بما يسمع من نكات الاغوات وأضاحيك الخدم دون طموح الى معالى الامور :

وكان محمد على أدرك فى أخريات أيامه ما يجب ان يتعوده هذا الشاب من تحمل المسئوليات ، ومواجهة الاعباء ، فأمر بتعيينه مديرا للغربية ! على غير دراية بأبسط ما يلم به المدير الكفء من مدارك واتجاهات، بل غادر القاهرة الى طنطا وهو يعتقد أنه وال مصغر اتيح له أن يتحكم فى شقة واسعة من الارض بما تضم من منازل واناس وحيوان ونبات ومياه ! وبدأت حماقته الرعناء فى سفك الدماء ونهب الاموال والتنكيل بمن يعلم عنه ـ كذبا أو صدقا ـ بعض ما لا يروق فى عينه جل اوهان ، حتى اضطر كثير من الفلاحين الى الفرار بأرواحهم الى مديرية البحيرة التى تجاور مملكته الموهومة ؛ وقد أغضبه أن يتمرد هؤلاء العصاة ! فأمر مدير الاقليم باسترجاع من لجأوا اليه من الفارين ، ثم أوقفهم صفوفا فى ساحة المديرية وأطلق مدفعا ضخما يلتهم من أمامه من البؤساء! وترامت الانباء المزعجة الى محمد على وذويه فثار ابراهيم وضج ! واكتفى رأس الاسرة بتوجيه النظر ومعاودة الانذار . . .

تبدلت الامور وجاء ابراهيم واليا مكان ابيه ، فتذكر رعونة ابن أخيه وطيشه المغرور فبادر باستدعائه وافهمه انه يريد أن يبعثه الى مكة ليحج بيت الله ، ويكفر عن آثامه المخزيات ! ففهم عباس أنه يتهيأ لنفى اجبارى محتوم ، وكتم غيظه الثائر ثم غادر عمه ليجد المطايا مهياة لحمله السريع الى النفى البعيد !

وفى أرباض تجد أخذ الرجل المبعد يرسل آهات الحقد والنقمة، ويجمع حوله العرافين وضاربى الرمل من خيام البادية ليقرءوا له صفحات الغيب ، وكانوا ذوى خبث ودهاء ، تعرفوا مكامن ضعفه وأخذوا يبشرونه بالملك عن قريب بعد ممات ابراهيم ، كان المنجم الداهية (منتظر) أحد هؤلاء الذين تسربوا الى نفسه وتدسسوا الى طواياه فكان يفسر أحلامه ، ويهيىء أحجبته ، ويهدى اليه ماء الزعفران ، ونبات البادية ليحفظه من عيون الحسدة ويقيه مكيدة الحاقدين ·· ثم أوصله ببعض شيوخ البادية ليرى ابنته الحسناء تتمتع بالجمال الصارخ والشباب الريان، فهام بها هيام الكلف المشوق ثم طلب يدها ، فأجيب الى ما اراد ، واصبحت البدوية الحسناء مالكة زمامه وقائدة أمره فهو معها كالطفل يرقب اشارتها فى تودد وانجذاب ·· وكان المنجم الداهية قد أدرك جزيل ما أسدى للامير من ذخيرة حسناء ، فازداد تسلطه على نفسه وأصبح سمير خلوته ورفيق مغداه ··· انتهت حياة ابراهيم على نحو أسرع مما كان عباس يتوقع فى منفاه، ورأى نفسه ذات مساء صاحب الامر فى البلاد ، فاستشعر فرحة عنيفة كان لها أثرها من بعد فى أعصابه اذ اختل توازنه الشخصى فوق ما به من قصور ذاتى لا ينهض بتحمل الاعباء ـ وشهد الحجازيون ركب الوالى يخف من نجد بعروسه وحاشيته ومنجميه ومضاحكيه ! ليصبح بعد حين قبلة الانظار فى القاهرة ! وقد اشتعل حقد عباس على ابراهيم الميت فأخذ يسال عن ذوى مودته وأصحاب شوراه ورجال حاشيته فصرفهم جميعا عما كانوا يزاولونه من المهام ، واختار مكانهم من لا عهد له بهذه المصاعب من خدمه ومماليكه ، ودعاه حقده الألد أن يسال عمن أظهر البكاء فى جنازة الوالى الراحل فكتب له أسماء بعضها مموه مكذوب فانتقم من أصحابها ثم رمى بهم الى المنافى السحيقة فى السودان وأقصى الصعيد بعد أن جردهم من منازلهم وأموالهم وما كان شائعا لعهده من الجوارى والعبيد ، ووجد دجاله المحترف (منتظر) فرصته المناسبة لمزاولة شعوذته المارقة فجعل يشير عليه بما يراه من الطالع ويتسلط بتمويهه الاخرق على أزمة قياده ! الى حد يقرب من العته المجنون ، فقد أشار عليه أن يتولى أمور القاهرة محافظ يبتدىء اسمه بحرف الهمزة فأذعن الوالى للمشورة وأخذ يبحث حتى اهتدى الى ابراهيم الالفى فكان اسمه فقط أساس الاختيار وعمدة الترجيح! ولم ترق القاهرة بمنازلها الشاهقة وميادينها الفسيحة فى عينى زوجته البدوية ودجالها منتظر فكره عباس البقاء بها وأخذ ينشىء قصور الامارة فى بنها والدار البيضاء بصحراء السويس ليهيىء لهما جو البادية فى نجد ثم أحاط تنقلاته الى قصوره المتباعدة بجو من الكتمان بحيث يجعلها مفاجأة مدهشة لمن يراه صباحا فى مكان ومساء فى مكان آخر رغم وعورة الطريق وصعوبة المواصلات !! ثم اختص عرب الهنادى بصداقته فجعلهم حراس قصوره وأدوات بطشه وارهابه ، فاذا غضب على انسان ما ولو كان من عائلته وبنى اعمامه سلط عليه هؤلاء المناكيد فسلبوه راحته ، واضطروه الى الفرار من مصر نهائيا، اوالارتماء على قدم الحاكم كاللائذ المستجير، وقد أتى من المتناقضات المذهلة ما جعل المؤرخين يحارون فى تفسير أعماله ، فهو يقرب زيدا من الناس فيمنحه القصر والارض والمنصب والخيل حتى اذا اطمأن الى سيده داهمته النقمة العاجلة من حيث لا يحتسب فرأى نفسه يساق فى القيود الى عباس متجردا من ملابسه ، وسياط الخدم من المماليك تنهال على جسمه ثم يلبس ثياب الفعلة فى اصطبلات الخيول ويقوم بالعلف والرى وتنظيف المكان للجواد ·· واحيانا يطاف به على حمار فى انحاء القاهرة ليفتضح بين الناس بما يعود على سمعته وأسرته بالفضيحة والشنار ·· وكانت كارثة الكوارث حقا فى تاريخ مصر جرأته الجاهلة على معاهد العلم ومصانع الغزل والنسيج ، ومستشفيات المرضى ، ودار الاعمال الحربية اذ أجرم اجراما شنيعا حين أصدر أمره باغلاق هذه المرافق الحيوية الهامة وترك البلاد تعيش خمس سنوات فى ظلام الجهل والفقر والمرض دون أن تعرف مبررا لهذا العبث المجنون !! وقد أدى اغلاق المصانع الى تشريد أسر كثيرة كان أصحابها يعملون بها متكسبين! ويقول بعض الكتاب: ان القنصل الانجليزى قد استطاع بدهائه أن يقنعه باغلاق المصانع لتظل حاجة مصر الى انجلترا شديدة ماسة ! ولئن صدق ذلك فى مصانع النسيج والغزل فمن الذى أشار عليه باغلاق معاهد التعليم ومستشفيات المرضى الا أن تكون لوثة أعصابه قد دفعته الى تهوره المشين!!

أما انتقامه من الاقباط بدون مبرر ما فقد بلغ ذروة الطيش ، حتى اضطر شيخ الازهر الشيخ ابراهيم الباجورى رحمه الله الى الوقوف فى وجهه مذكرا اياه بحكم الاسلام فى رعاية أهل الذمة وقد أعلمه أن

الفرنسيين يحتلون الجزائر ومن قبل قد احتلوا مصر فلو واصل تعنته الظالم لجر البلاد - أكثر مما هي عليه - الى هاوية الاحتلال من جديد ! ولعل الشيخ الباجورى هو الرجل الوحيد الذى استطاع ان يجابه الطاغية بما يقترف من مظالم ، وقد كان عباس يستشعر خوفا باطنيا من نفوذه الروحي ويستمع الى رأى من يشيرون فى حاشيته بتجنب (شيخ الاسلام) فهو متصل بالله !! لذلك نرى عباس على عظموته الباطش يزور الجامع الازهر ويدنو من حلقة الشيخ ثم يجلس على كرسى ليستمع ما يفيض به فى دروس الفقه والتوحيد وكان الباجورى لا يعيره أدنى التفات مع أن عباسا نفسه لا يفهم شيئا مما يقرره الاستاذ اذ أن دروسه كانت حواشي وتقريرات على شروح ومتون وسامعها لا بد أن يعرف نص المتن وكلام الشارح قبل ان يسمع حاشية الباجورى وتقريره ! ولعله كان يستمع اليه كما يستمع الأمى الساذج الى آية عالية من كتاب الله يتعبد بسماعها دون أن يستشف ما تحمل من توجيه !! وقد رأيت من المؤرخين من يقرنون عباسا بالحاكم بأمر الله فى تناقضه وتخبطه وجنونه ، وهذا مقبول من ناحية ، وبعيد من ناحية ثانية فالحاكم يشارك هذا الاحمق فى اضطراب سياسته والتياث أموره ، وولوعه بالمفارقات المتناقضة فى الاخذ والرد والتقريب والتبعيد ، والرضا والغضب ، ولكن الحاكم على تناقضه الفاحش - صاحب دراسات وفلسفات تصرفه عما انهمك فيه عباس من فنون اللذة الجسمية فهو لا يتوحش فى التهام المآكل والمشارب ولا يبنى القصور للحظايا والحرائر، ولا يشتغل بهؤلاء زوجاته وعشيقاته كما انصرف الى ذلك كله هذا الحاكم المجهول ولعل ما يذكر له من الاصلاح فى عهده الرهيب - ان عد ذلك اصلاحا - هو موافقته على انشاء خط حديدى بين النيل والبحر الأحمر ولم يقدم على ذلك التماسا لرقى بلاده ! ولكنه خضع لرغبة القنصل الانجليزى الذى كان ينافس زميله القنصل الفرنسى حينئذ فى التقرب من رجال الحكم بمصر ، ليستطيع أن يثبت أقدامه عن طريق المشروعات العمرانية ! وكان لعباس رغبة شديدة فى استرضاء القنصل الانجليزى اذ أوهمه كاذبا ان دولته تستطيع أن تتصل بالباب العالى فى تركيا كى تغير نظام ولاية العهد فى مصر فيصبح لابن الحاكم مباشرة بدل أن يكون لأكبر رجل فى الاسرة العلوية ! والحق أن ولاية العهد هذه كانت تؤرق عباسا وتضنيه اذ عز عليه أن ينتقل حكم البلاد الى عمه سعيد متخطيا ولده الامير (الهامى) لذلك كان اضطهاده لسعيد مضرب المثل فى الغلظة وقلة الذوق فهو يعاقب من يتصل به من الوجهاء والاعيان ! كما يصادر أكثر ممتلكاته كيلا يجد من المال ما يستطيع به أن يجذب اليه الانظار ثم اعتقله فى قصره «بالقبارى» محتما عليه الا يفارقه فى شأن من شئون الناس ! وكاد سعيد يستشعر اليأس من الحياة والحكم معا لولا أن الحظ الذى ابتسم فجأة لعباس فى منفاه بنجد على غير انتظار قد كرر البسمة لسعيد على غير انتظار أيضا، فحين كان الوالى الغشوم ممتعا بالصحة والسلطان أتاه الموت على غير موعد ، فاغتيل على أيدى خدمه المقربين بقصره فى بنها اذ شاء القدر أن يسقيه من الكأس التى يسقى بها الناس ، وخلاصة ما قيل فى مصرعه أنه غضب على فريق من مماليكه فجردهم من ملابسهم ، ووضع الاغلال فى أعناقهم ورماهم فى السجون بعد أن شرد اسرهم وصادر أموالهم ثم اجتهد أحدهم فسعى لابراهيم الالفى صديق الوالى وموضع سره وحظوته فأخذ يستميله ويستعطفه ليشفع لدى عباس فيمن جعلهم مضغة الافواه ، وعزآة الايام فتأثر الألفى وبذل مسعاه جاهدا حتى رضى عباس بعد جموح وسمح لهؤلاء المضطهدين أن يعودوا الى وظائفهم وقصورهم وممتلكاتهم من جديد ، فرجعوا مذعنين متوسلين ، وقد أضمروا الغدر لهذا الذى لا يؤمن جانبه أو يتقى شره الا باجتثاثه من الحياة ، ووجدوا من خدم القصر فى بنها من يشاركهم الرأى فى الطاغية الظلوم ، وتقاسموا أن يقوموا باغتياله حين يذهب الى مضجعه بعد انتهاء السهرة وانفضاض الناس ، وفوجىء الرجل بمن يهجمون عليه وحاول المقاومة بما عرف عنه من بأس ولكنه خار أمام الكثرة والعدة والتصميم، ولقى حتفه دون ان يشعر أحد . حتى اذا مضى أكثر اليوم دون أن يراه منتظروه انكشف السر الرهيب وسارت جثته الى القاهرة ليشيعها بضعة أشخاص من خاصته فى وهج الظهيرة والتهاب الهجير .

محمد رجب البيومي

من وحي ثورة العراق

عودة بتموز

للأستاذ علي الصياد

كان بالامس غارقا فى الدماء   ونهار المنى كفيف الضياء
حين كان الطغاة يشدون   الحان الردى فى موكب الشهداء
وشفاه الرصاص بين الضحايا   تتغنى بمصرع الابرياء
وربا الرافدين يسقط منها   كل طير يصوغ لحن الفداء
والثكالى على ضفاف المنايا   يتحرقن داميات البكاء
انه شعب دجلة الحر قد   ثار فاسقى الطغاة كاس الفناء
واراق الجهود فى اكؤس النصر   فرد الحياة فى الاشلاء
وغدا دجلة الحزين مزامير   انتصار تشق سمع السماء

***

واستفاقت بغداد بعد سبات   تشهد النصر خافق الرايات
وتريق السلام فى كل قلب   كان يحيا مفزع الخفقات
وترى صانع الملا بين تموز   الى الحكم عاد حر الحياة
عاد والشعب حوله راقص   الفرحة يشدو ملاحم التضحيات
كيف ينسى الاحرار وثبته الكبرى   بتموز فوق عرش الطغاة
فتهاوت امامه قلعة الظلم   فاحيا العراق بعد ممات
وتلاقت مواكب الدهر فى   بغداد تعنو لصانع المعجزات
فاذا الرافدان فى شفة   الخلد نشيد مخلد النغمات

***

ومضت اشهر كعمر الازاهير   تلف العراق ليل الهوان
خلته قاسم الجهود فاسقاه   الردى فى غياهب الحرمان
بعد ماخان (عارفا) وحواريه   فى نزوة الضعيف الاناني
وغدا بالعراق فى النار يلهو   والعراق الابى فى غليان
ينتشى بالدماء تجرى من القتلى   بحارا خضيبة الشطآن
ناسيا ان فى دم الشعب طوفانا   سيجتاح قلعة الطغيان
فاستدار الزمان يطلع تموزا   جديد النضال فى رمضان
فاذا بالعراق يصنع ما تعجز   عن صنعه بنات الزمان

***

وراى الشعب فى الوجود شروقه   ومناة من الغيوب طليقه
نهفا كل حائر يحضن النور   وفى ظله يناجى رفيقه
ويرى دجلة الطروب وقد   صارت بشطآنه الصخور وريقه
والشحارير فوقه صادحات   غنوة المجد والامانى العريقه
لحنها وحدة تلملم شمل العرب   كالطير فى ضلوع الحديقه
امل فى غد سيورق فى النيل   وفى الرافدين نحو رحيقه
وبسوريا وبالجزائر ينمو   وبصنعاوكل ارض شقيقه
سوف نجنيه فى غد عابق   الزهر ولو صارت المنايا طريقه

من وحى ٢٣ يوليو

مراحل النور

للأستاذ إدوار حنا سعد

سناك فى الصفحات الغر منفرد … وعمرك الغض فى امجادة ابد
يوم البطولة لا زالت مفاخرة … باليمن تترى وبالآلاء تطرد
كالشمس لم تسر الا فى سنا بهج … الدفء فى ركبه والامن والرغد
مهما يطل مكثها فينا فبهجتها … وليدة فى الضحى انوارها جدد
مشي صباحك فى يوليو وبشرنا … بجذوة طال فى استشرافها الامد
عصماء رائعة الضدين صادقة … بالنور يشحد او بالنار تتقد
لاحت على بلد كانت مضيعة … عجفاء لم ينج منها الروح والجسد
تد عوفيت واستعزت حينما وجدت … من بعد طول ضلال — نفسها البلد

***

يا قرية فى الشفاف الخضر وادعة … والحسن مطرف فيها ومتلد
ران السكون عليها غير ساقية … انت وعارضها فى انقة غرد
ظلال اشجارها فى النيل سابحة … كانها نزلت فى الماء تبترد
والارض من زرعها فى سندس بهج … والقطن فى سوقة تحت الندى برد
ما كان اجملها لولا ذوو شظف … تد تجروا ارضها رزقا وما وردوا
جوعى وقمحهم فى مخزن شبم … فى بطن رابية تردى ، ولا تلد
مفتاحه فى اكف كلها خرق … تعطى وتمنع لا عقل ولا رشد
المالكو الارض .. جل الله مالكها … بالسلب والغصب ما نالوا وما حشدوا
ردت ودائعنا من كف غاصبها … وساد فى الارض بعد الصبر مضطهد

***

من ذلك الشعب من اصفى جواهره … من ريفنا السمح هب الفارس النجد
الناصر الحق لم تفلل عزيمته … تلك العوائق دون الحق والسدد
الباسق النصل لا ترقى لغايته … امنية ترتجى او خاطر يرد
صعب الكريهة سهل الود مقتدر … بالعزم مندفع بالحزم متئد
موفق الخطو سباق لطيته … عالى الجبين علية الغار منعقد
لعزة العرب ما تطوى جوانحه … وللكرامة ما يمضي وما يعد
فى كل ناحية من عالم قلق … مستضعفون لهم من عزمة سند
وسناه كالحدق الغالى باعيننا … والشانئون بهم من شانه رمد
بثوا الحبائل فى ختل فما انتفعوا … وانذر الحقد بالعدوان فاحتشدوا
ظنوا الظنون بوادينا فراعهم … تحت العجاج نيوب الاسد واللبد
اودى بهم نتية صيدوكم نثة … قليلة لم يرعها الزاد والعدد
بنى العمومة ما ذا فى سرائركم … نيم الخلاف واطماع العدا رصد ؟
مافت فى عضد القربى ومزقها … الا الذميمان غدر الاهل والحسد
البعث عودة روح وانتفاضتها … وبعثكم يصرع الامال او يئد
لا تفسدوا فيقولوا عنكم فسدوا … ويبرأ الاهل مما كان والولد
يبقى على هامة الدنيا وخاطرها … ما ينفع الناس لا البهتان والزبد
لا تجعلوها بلادا وهى من قدم … من المحيط الى خلجاتنا بلد

فى عالم الفن

كيف تستفيد بمهرجان

التليفزيون

بقلم عبد الفتاح البارودى

ان مهرجان التليفزيون يلقى علينا مسئوليات ضخمة ، فكيف نواجه هذه المسئوليات ؟!

انى اتحدث عن النواحى الفنية والثقافية فقط ... ان المكاسب المادية ، والاتفاقات الدولية والحصول على دخل ضخم من العملات الصعبة والدعاية لبلادنا ، والرواج السياحى ... الخ ... كل هذه مكاسب وان كانت متصلة بالفن والثقافة الا انها لا تحتاج الى شرح .. انها مسائل تؤكدها الاحصائيات والارقام .. ولكننا فى حاجة الى تناول المهرجان كمناسبة عالمية لمناقشة مشكلات الفن والثقافة فى المستوى العالمى من خلال التليفزيون وكيف يساهم التليفزيون العربى فى حل هذه المشكلات ، وفى التطوير الفنى والثقافى ، وفى رفع انتاجنا الفنى والثقافى الى نفس المستوى ، اى المستوى العالمى

الواقع أننا بدأنا نواجه هذه المشكلات التليفزيونية منذ أن بدأ الارسال التليفزيونى فى بلادنا ... ان التليفزيون لم ينشأ بيننا كمجرد فن جديد نقل الينا لانه جديد ، او لاننا نريد مجرد محاكاة البلاد المتحضرة ، وانما نشأ بدوافع حتمية ، نتيجة للتغييرات الجوهرية التى حدثت فى مجتمعنا الجديد ... نتيجة لانتقالنا من مجتمع متخلف الى مجتمع متقدم ... نتيجة لتغير تفكيرنا من تفكير غيبى الى تفكير واع ... ان تغيير اقتصادياتنا ومثالياتنا وحياتنا كلها ، هذا التغيير الذى حدث ابتداء من يوليو ١٩٥٢ كان من بعض نتائجه ان ولد التليفزيون العربى « عملاقا » منذ ثلاث سنوات ، وكان من البديهى ان يولد عملاقا بلا اى اسراف او مغالاة فى هذا الوصف ، لانه ولد تعبيرا عن ارادة المجتمع الجديد فى النضال والتقدم والدفاع عن الحرية واحترام الانسان وخدمة الشعب ، ولد كجهاز فنى لتحقيق هذه الاهداف ... وطبعا ليس معنى ميلاده عملاقا انه « ليس فى الامكان ابدع مما كان » ، فان النظرة الى التفاصيل والجزئيات تعتبر نظرة سطحية ، وانما المهم هو ان هذا الفن لم يولد منفصلا عن المجتمع ، او رغبة فى التقليد ، او للزخرفة ، او للمظهريات مثلا ..

ان هذا يفسر لنا الفرق بين ميلاد التليفزيون وميلاد المسرح او السينما فى بلادنا ... فالمسرح مثلا نقل الينا فى اواخر القرن الماضى لمجرد محاكاة الغرب محاكاة عمياء ... لم يكن تعبيرا عن وجدان الناس ولا استجابة لاحساساتهم او احتياجاتهم الى التطور او المشاركة فى الفنون الحضارية ... والسينما نقلت الينا كما تنقل اى « موضة » ... لم يكن من الممكن فى المجتمع الماضى ان يتولد الادراك الفنى ، اى ادراك ان للفن وظيفة ، وان هذه الوظيفة هى خدمة المجتمع ، ولذا ظهر — مثلا — مبنى فخم اسمه دار الاوبرا دون اى فهم لشىء اسمه فن الأوبرا ... وهكذا .

من اجل ذلك لم نشعر فى المجتمع الماضى بمواجهة اى مشكلة فنية مواجهة حقيقية ، لاننا لم نكن نمارس الفنون ممارسة حقيقية ... كانت فنوننا مظهرية ، وكنا نمارسها ونشترك فى انتاجها واحيانا نشترك فى مهرجاناتها بشكل مظهرى ... وفعلا اشتركنا فى مهرجانات كثيرة كمتفرجين ، وحضرناها كمناسبات لتناول الشاى وتبادل الزهور فقط

وبديهى ان هذا تغير فى مجتمعنا الجديد ... ان فنوننا وان لم ترتفع بعد الى المستوى العالمى فان اهتماماتنا الفنية اصبحت اهتمامات حقيقية

جديرة بان ترفع فنوننا الى المستويات العالمية فعلا .. كيف ؟ بمواجهة مسئولياتنا مواجهة حقيقية ... اننا عندما نقول مثلا ان التليفزيون العربى ولد عملاقا فاننا لا نكتفى بالنظر الى ضخامة المبنى أو ضخامة الاجهزة ، وانما نستشعر اولا ضخامة المسئولية الفنية والثقافية ، لان المعنى العميق لميلاده عملاقا هو أنه ولد وفيه امكانيات الالتزام والمسئولية ، وفيه ايضا مكونات ومتطلبات الالتزام والمسئولية بشكل حتمى ... على هذا النحو ندرك ايضا معنى التوسع فى الارسال التليفزيونى ، وزيادة عدد القنوات الى ثلاث قنوات ، وزيادة الساعات التى تستغرقها البرامج بحيث اصبحت تستغرق أكثر من ٢٥ ساعة يوميا ... الخ ...

ان هذه المعانى أدركها خبراء التليفزيون فى العالم، ومع أن سرعة تحقيقها ادهشتهم فانهم نظروا بعين التقدير الى التليفزيون العربى باعتباره حقيقة واقعية ، وظهر هذا التقدير بوضوح فى آراء جميع الخبراء العالميين الذين زاروا القاهرة تباعا ، ثم ظهر بشكل جماعى فى المهرجان الدولى الذى اقيم بالاسكندرية فى العام الماضى ، ثم ازداد وضوحا فى المهرجان الحالى الذى تزايد عدد المشتركين فيه من الخبراء والدول والمحطات التليفزيونية العالمية ... ان هذا كله يزيد مسئولياتنا ... ان اكثر من ٢٠٠ مهرجان فنى تقام سنويا فى مختلف بلاد العالم دون ان ينال التقدير العالمى اكثر من بضعة مهرجانات تقام فى أربع او خمس دول ، بينما نال المهرجان التليفزيونى فى الاسكندرية فى العام الماضى ، وفى هذا العام على وجه الخصوص تقديرا عالميا ملحوظا ، ومعنى ذلك أن التليفزيون العربى توج انتصاراته بتأكيد مكانته فى المحيط الدولى ، ولا جدال فى ان هذا يلقى علينا التزامات ومسئوليات كبيرة، لا فرق فى ذلك بين العاملين فى التليفزيون أو المتعاملين معه او الفنانين او الجمهور

ولكن كيف نواجه هذه المسئوليات عمليا ؟

خذ مثلا مسئولية الجمهور ... ان الدكتور عبد القادر حاتم قرر اذاعة حفلات المهرجان على الهواء يوميا ، ووضع تقليدا جديدا اتاح للجمهور ان يشترك اشتراكا فعليا فى المهرجان ... لم يحدث هذا فى مهرجان العام الماضى ، ولا فى اى مهرجان تليفزيونى ، لان المتبع أن برامج المهرجانات تعرض على لجان التحكيم فقط ... ان التليفزيون استفاد من المهرجان الماضى وقدم هذه التجربة الجديدة التى تعطى الجمهور فرصة مشاهدة البرامج التليفزيونية العالمية ، ليس لمجرد المشاهدة فقط ، بل ايضا للاستفادة ضمنا عن طريق المقارنة والمناقشة ، ومتابعة المناقشات التى ستدور حول هذه البرامج عندما يعيد التليفزيون عرضها

ان المهرجانات من اهم المجالات الفنية التى تعرض فيها أحدث التجارب الفنية ، فلماذا لا نستفيد من هذه التجارب ؟ سنستفيد من تجارب هذا العام لو اهتم التليفزيون باعادة عرض جميع البرامج بلا استثناء ، ومن الافضل تخصيص برنامج اسبوعى لهذا الغرض يقام فى شكل « ندوة فنية لمناقشة كل برنامج على حدة ، ويشترط أن يشترك الجمهور فى هذه الندوات ، وتعرض فيها ايضا آراء أعضاء لجان التحكيم لتكون المناقشة تطبيقية ومقارنة على اوسع نطاق ممكن

ثم ماذا يمنع من طبع كتاب عن المهرجان تسجل فيه جميع البرامج وقرارات لجان التحكيم بشأنها بالتفصيل ... ان مثل هذا الكتاب يلقى الضوء على النظريات التليفزيونية فى مختلف بلاد العالم ، وخاصة ان الدول التى اشتركت فى المهرجان تمثل اهم الاتجاهات الفنية فى العالم ... لا شك فى ان معرفة النظريات العالمية تعمق معرفتنا بالفن التليفزيونى ... وطبعا من اللازم ايضا مناقشة هذه النظريات فى ندوات تليفزيونية يشترك فيها العاملون فى التليفزيون كل فى اختصاصه ... الواقع اننا فى حاجة الى توسيع وتعميق ثقافتنا التليفزيونية ، ليس فقط لأن التليفزيون فن حديث سواء عندنا او فى العالم كله ، بل ايضا لان هذا الفن عبارة عن تجارب مستمرة يقوم بها خبراء التليفزيون، وهذه التجارب تنضج بممارستها وبمناقشتها وباحتدام الخلاف حولها ، ونحن فى حاجة الى معرفة هذه التجارب ومتابعتها والمشاركة فيها ، ثم اننا ايضا فى حاجة الى « اقلمتها » فى بيئتنا وتكييفها حسب مفهوماتنا ومواضعاتنا الفنية دون تجاوز الاسس الجوهرية للفن طبعا .. كل ذلك كيف يمكن ان يتحقق بغير ثقافة تليفزيونية

ان مهرجان التليفزيون يتيح لنا فرصة الاحتكاك بالثقافة التليفزيونية العالمية وبالتجارب الفنية وبالخبراء الذين مارسوها وبالفنيين الذين نفذوها ، واذن فمن اللازم أن نناقش ونفسر ونحلل كل تجربة والمهرجان يقدم لنا نماذج من هذه الجهود ، واذن فمن اللازم أن ندرسها لندرك مثلا مدى ارتباط البرامج

بالمجتمعات التى تذاع فيها والجمهور الذى يشاهدها ... ان البرامج المشتركة فى المهرجان تمثل شعوبا مختلفة الطابع والمزاج ، وتمثل اساليب مختلفة فى التناول الفنى ، وتمثل مناهج مختلفة فى التفكير . فاذا درسنا هذه البرامج بعمق امكن ان نزداد خبرة فى النواحى الموضوعية ونواحى التكنيك ... الخ

ولا شك فى ان للتليفزيون مجالات ترفيهية ايضا . ونحن لا نزال نمارس الفنون الترفيهية ممارسة متخلفة .. اننا للآن نستخدم النكت اللفظية والمواقف المفتعلة فى الاضحاك ، وللآن لم نصل الى الاغنية التليفزيونية ، وللآن لم نؤلف « الاسكتش » التليفزيون ... الخ ... وصحيح أننا بدأنا نمارس الفنون الاستعراضية ، ونجحت التجارب الاول . ومع ذلك فان من المفيد جدا أن ندرس تجارب الآخرين ، ونبحث مع الخبراء وظيفة الفن التليفزيونى باعتباره فنا يعطى المتعة والتسلية كما يعطى الثقافة والمعرفة

ونحن فى حاجة الى معرفة « الشخصية التليفزيونية » ومكوناتها ، والحقل التليفزيونى ومجالاته ، وطبيعة الفن التليفزيونى وعلاقاتها بوظائفه وادواته،والجمهور التلفزيونى وسيكولوجيته ... اننا لا نزال نعانى فى التاليف مثلا تناول الموضوعات التليفزيونية بعقلية سينمائية أو مسرحية او اذاعية ، ولا نزال نفتقر الى ادراك الفروق الكثيرة بين الشاشة الكبيرة والشاشة الصغيرة ، وبين الجمهور الذى يخرج من بيته ليشاهد فيلما او مسرحية والجمهور الذى يجلس فى بيته ليشاهد فيلما تليفزيونيا او تمثيلية تليفزيونية ... وفى الاخراج لانزال نفتقر الى ادراك الفروق بين الكاميرات السينمائية والكاميرات التليفزيونية والكاميرات البشرية اى عيون المتفرجين ... وهكذا ... كل هذه المسائل — وفيها مسائل دقيقة جدا — يتيح لنا مهرجان التليفزيون معرفتها لو تعمقنا فى فحص برامجه ، ومناقشة أساليب اعدادها وتنفيذها .

من الممكن بحث هذه المسائل كلها فى ندوات دورية متتابعة تخصص لهذا الغرض ... ومن الممكن اعداد دراسات منهجية يقوم بها أساتذة متخصصون ويتفرغون لاعدادها فى فترة معينة وتناقش النتائج التى يصلون اليها ... منها — مثلا دراسات عن النظريات والاتجاهات والاساليب الفنية فى مختلف برامج المهرجان ... ومنها دراسات لآراء الخبراء والفنيين الذين اشتركوا فى هذا المهرجان او فى اعداد وتنفيذ برامجه ... ومنها دراسات عن المراجع والكتب والأبحاث التى تتداولها الدول التى اشتركت فى المهرجان للعمل على ترجمتها ... ومنها دراسات عن النتائج التى أسفرت عنها ممارستنا للفن التليفزيونى خلال هذه السنوات الثلاث ، لنتبادل هذه الدراسات مع الدول الاخرى ... ومنها دراسات عن احتياجاتنا سواء من الخبرات او الخبراء لاستكمال النقص فى الحقل التليفزيونى ... ومنها دراسات لآراء الخبراء فى برامجنا وأساليبنا فى التناول التليفزيونى ... وهكذا

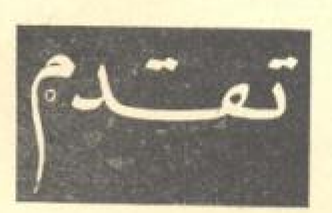
من الممكن ايضا اعداد دراسات عامة ... ان مهرجان التليفزيون يدفعنا الى اعداد هذه الدراسات باعتباره عيدا فنيا يثير قضايا فنية سببها الاول ظهور التليفزيون فى الحقل الفنى ، وهدفها الاول تعميق المعرفة بأسراره ... منها — مثلا — دراسات عن موقف التليفزيون بين الفنون الاخرى ، وعلاقته بها ، ومدى تأثره بها وتأثيره فيها ... وطبعا سبق ان ظهرت أبحاث كثيرة عن علاقة التليفزيون بالسينما او بالمسرح ، ومن السهل — والواجب ايضا — ترجمة هذه الأبحاث ، ولكن فى نفس الوقت حدثت تطورات كثيرة فى هذه العلاقات ، ومن المفيد دراستها دراسة تطبيقية على البرامج التى اشتركت فى المهرجان

ونحن ايضا لنا تجارب محلية فى هذا الصدد ... لنا تجارب فى الافلام السينمائية التليفزيونية، ولنا تجارب هامة جدا فى المسرح التليفزيونى بالذات، ومن اللازم اعداد دراسات عن هذه التجارب وعرضها للبحث فى المحيط الدولى ... ان هذه التجارب تحتاج الى تقييم فنى ... فنحن بالمسرح فقط لم نستطع نشر الوعى الفنى،بينما نجح المسرح التليفزيونى فى نشر الوعى الفنى ، وليس هذا فقط، بل نجح فى نشر الوعى المسرحى ، بمعنى انه خلق الشغف بالمسرح . وكان هذا الشغف هو اهم ما نفتقر اليه ... كيف حدث هذا ؟ ان هذه ظاهرة تحتاج الى ابحاث علمية

اننا نستفيد كثيرا من مهرجان التليفزيون لو ادركنا انه لا ينتهى بانتهاء موعده ... ان انتهاء هذا المهرجان — وكل مهرجان — معناه بداية دراسات عميقة ومتشعبة ومستمرة ... ابدأوا الدراسة فورا .

عبد الفتاح البارودى

المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر



من الفكر السياسي والاشتراكي

المجتمع المستغل

تأليف : ج. د. ه. كول
ترجمة : محمد امين ابراهيم
مراجعة : د. محمد انيس

٢٠٨ صفحة

الثمن ٢٥ م

ومن الكتب المؤلفة :

كليوباترا

سيرتها، وحكم التاريخ عليها

تأليف : زكي علي

الثمن ٢٥ بالنسخة الممتازة
١٦ » العادية

١٦٤ صفحة

زهير ابن أبي سلمى

شاعر السلم في الجاهلية

تأليف : د. عبد الحميد سند الجندي

الثمن ٣٦

٢٦٦ صفحة

بطولة وبطل

تأليف : د. احمد محمد الحوفي

الثمن ٢٥ بالنسخة الممتازة
١٦ » العادية

١٥٧ صفحة

وتطلب من

المكتبة القومية ٥ ميدان عرابي

الكتب : نقد وتعريف

سفير يتحدث

تأليف : محمد كريم شاجلا

ترجمة ـ عبد النبي الصواف

والكتاب عبارة من محاضرات القاها المؤلف حين كان سفيرا للهند في الولايات المتحدة الامريكية فسر فيها مبادىء الهند الخاصة بالتعايش السلمى وعدم الانحياز والحرية والديمقراطية والدستور وموقفها من الشيوعية ودورها في المشاكل الدولية . وحاول المؤلف اقامة موازنة بين المجتمع الامريكى والمجتمع الهندى فبين كيف يتمتع القضاء فى الهند بالسلطة العليا على الهيئة التشريعية ـ كما هو موجود فى الشكل الدستورى للولايات المتحدة .. بأن يكون للمحكمة العليا حق الاعتراض على اى قرار تصدره اللجنة التشريعية (الكونجرس) وكذلك بين المؤلف أن كفاح الهند فى سبيل القضاء على مشكلة (طائفة المنبوذين) يماثل تماما كفاح الولايات المتحدة فى القضاء على التفرقة العنصرية وكيف أن الهند قد سبقت الولايات المتحدة فى ذلك المضمار .. وفى مجالات التنظيم الديمقراطى بين المؤلف انه يوجد فى الولايات المتحدة مايمكن تسميته بالمواطنة المزدوجة ـ مواطنة الولاية والمواطنة الاتحادية ـ اما فى الهند فيوجد المواطن الاتحادى فقط ـ وذلك لتجنب الاتجاهات الانقسامية .. ويوجد كذلك الازدواج القضائى فى الولايات المتحدة ـ والازدواج القانونى .. فلكل ولاية قوانينها الجنائية وغيرها من القوانين الخاصة بها .. اما فى الهند فالقضاء واحد فى الولاية والاتحاد ..

والبرلمان فى الهند كهيئة تشريعية هو السلطة العليا بعد الهيئات التشريعية فى الولايات وذلك بعد تنفيذ لائحة الموضوعات التى يجب مناقشتها فى اى من الهيئتين ـ الاتحادية ـ أو فى الولايات . اما فى الولايات المتحدة فتوجد قوانين مختلفة ـ ولايملك البرلمان « الكونجرس » الامريكى سلطة فرض او تغيير اى من هذه النظم او القوانين فى هذه الولايات .. هذا بالاضافةالى ان تمثيل الولايات فى الكونجرس بصورة متساوية للولايات . اما فى الهند فالتمثيل فى البرلمان يتم بالنسبة العددية لسكان الولايات ..

وقد أشار المؤلف الى الاشتراكية الهندية قائلا فى صفحة ٢٨ « وينتشر فى امريكا فهم خاطىء بالنسبة لما تعنيه الاشتراكية فى تفسير المجتمع الهندى .. ان اشتراكيتنا ليست اشتراكيةمذهبية انما هى اشتراكية عملية » .

اما بالنسبة لسياسة الهند الخارجية : فقدذكر المؤلف «انها سياسة نشيطة متحركة.. اننا قدنكون اى شىء الا أن نكون محايدين .. اننا مخلصون لقضية السلام اخلاصا صادقا ـ اننا نكره القوة والظلم والطغيان اننا نؤمن ايمانا اصيلا بأن الروح الانسانية لايمكن أن تزدهر الا فى جو من الحرية» .

اما بالنسبة للديمقراطية فى الهند .. فقد ذكر المؤلف فى صفحة ٣٤ ، ٣٥ .

« وفى الهند تعتبر الديمقراطية والحرية كلمات جوفاء مالم تسهما فى القضاء على الفاقة والعوز وفى توفير الطعام والماوى للشعب ورفع مستوى معيشته » ..

« اننا لانصنع من القومية او غيرها من المذاهب أصناما مقدسة » .. وقد بين المؤلف ضرورة بناء المجتمع الاشتراكى الهندى دون التضحية بالحرية الفردية وبالمحافظة والابقاء على حكم القانون .

ويرى المؤلف أن الملايين فى آسيا وافريقيا « سيتوقفون عن العبادة فى محراب الديمقراطية

اذا فشلت تجربة الهند فى التنمية الاقتصادية . فى ظل الديمقراطية السائدة فيها — ويرى كذلك ان مساعدة الولايات المتحدة للهند هى مساهمة من الولايات المتحدة فى دعم قضية الديمقراطية فى الهند وفى آسيا » ..

وانه لابد من قيام صداقة بين اكبر ديمقراطيتين — ديمقراطية الغرب وتمثلها الولايات المتحدة وديمقراطية الشرق وتمثلها الهند .. وقد شرح المؤلف موقف الهند من الشيوعية .. وبين انه ليس معنى صداقة الهند للصين الشعبية والاتحاد السوفيتى قبولها (اى الهند) للايديولوجية الماركسية » .

***

واوضح كذلك ان تصويت الناخب الهندى فى ولاية كيرالا الى جانب الحزب الشيوعى ليس اقتناعا بالماركسية بقدر اعتباره بديلا لحكومة حزب المؤتمر السابقة فى الولاية والتى كان شعب كيرالا غير راض عنها ..

ولايعنى وجود حزب شيوعى فى الهند اكثر من تحقيق الديمقراطية والحرية للمواطن الهندى فى ان يختار مايشاء من الافكار .

وذكر المؤلف .. ان الخطورة على الهند ليست من الشيوعيين مثل الصين والاتحاد السوفيتى .. وانما من باكستان .. التى تهدد دائما بالحرب .

ويرى المؤلف ان العالم يواجه ازمة انقسامه الى دول متقدمة ودول متخلفة .. الى دول تغمرها الوفرة ودول تهلكها المجاعة ..

***

ويتساءل المؤلف عن معنى الحرية فيقول ص ١٠٥ ما مضمون الحرية ؟ وماذا تعنى بالنسبة للانسان العادى هل حسنت نصيبه من الحياة ؟ هل رفعت مستوى معيشته ؟ هل منحته التعليم والعمل — واذا لم تنتج الحرية سوى زخارف الديمقراطية من تصويت فى مؤسسات برلمانية وحكومة مسئولة فانها تكون قد فشلت فى ان تعطى للشعب اهم مايقصد بها ؟ الا وهو العدالة الاجتماعية والاقتصادية .

والرسالة تقول ..

لاشك ان تجربة الهند الديمقراطية — هى تجربة رائعة حقا وخاصة انها دولة تحاول اللحاق بركب التقدم الصناعى — اى انها دولة نامية .. وللدول النامية — دائما — ظروف خاصة بالنسبة لقضايا الحرية والديمقراطية .. وايمان الهند بالسلام — والحياد والتعايش السلمى .. نابع من مفهومها العميق لمبادىء غاندى الخالدة فى الجنوح للسلم حتى فى معارك الاستقلال ولقد كانت تجربة رهيبة حقا . تجربة الاختيار — بين السلام كروح للعمل ومحتوى للنضال من اجل التقدم .. خاصة بعد الاعتداءات الصينية الاخيرة على الحدود الهندية ..

ومنذ ذلك الوقت والصراع قائم على اشده فى الهند .. حول معنى السلام هدفا وغاية ..

لقد كان كريشنا مينون وزير الدفاع الهندى السابق وتلميذ غاندى المتشبع بآرائه وفلسفته يمثل روح الهند الحديثة فى نظرتها لكثير من المشاكل الدولية .. وهزت الاعتداءات الصينية على الحدود الهندية — كريشنا مينون بعنف وذلك لانه لايمكن ان يعنى اعتناق السلام — الاستسلام — وانما يجب ان يكون سلاما مرتبطا بقوة عسكرية تستطيع ان تفرضه اذا استعصى طلبه . وتعرضت تجربة الحياة ووسائلها فى الهند ذاتها .. لهزة بالغة الخطورة ايضا ..

فالصين دولة نامية — والهند دولة نامية .. ولكن الفرق بين الاثنين ان فى الصين مجتمعا عسكريا وفى الهند مجتمعا غير ذلك ..

فكان السؤال هو ..

هل تترك الهند مبادىء السلام والحياد وتتحول من دولة ديمقراطية الى دولة يتسم نظامها الداخلى بنزعة غير ديمقراطية .

وكان صراعا مريرا انتهى بفوز حزب المؤتمر الهندى باغلبية ساحقة .. وتأييد سياسته فى السلام والحياد الايجابى . ولقد اشار المؤلف ان الخطر على الهند ليس من الدول الشيوعية .. ولكنه من باكستان .. وقد أثبتت التطورات الاخيرة عمق هذه النظرة وخطئها .

والكتاب من الكتب الهامة التى يجب قراءتها ويقع فى ١٤٨ صفحة من القطع الكبير — والناشر الدار القومية — سلسلة كتب من الشرق والغرب .

ت . ع

البريد الأدبي

عقدة النقص فى البرنامج الثانى

عودنا البرنامج الثانى من اذاعة الجمهورية العربية المتحدة عرضا وتلخيصا لواحد من شوامخ الكتب العالمية فى مستهل اذاعة برامجه كل ليلة .. وهذا فى واقعه عمل يشكر عليه القائمون على امر البرنامج بيد أن السمة المميزة لعملية اختيار الكتب أنها كلها أجنبية الوضع .. والفكر العربى مهما قال القائلون فى قصوره واقليميته لا يمكن أن يخلو من كثير من الامهات فى فنون المعرفة المختلفة .. وعندنا من أساتذة الاقتصاد والدراسات التخطيطية ومن المتعمقين فى الفنون على تباينها والدارسين للحضارات ومناهج التفسير التاريخى .. عندنا فى الوطن العربى الكبير لا شك عدد منهم يمكن ان يتناولهم السادة كتاب هذه الملخصات ...

ولعل بكلمتى هذه أزيح صورة تكاد تعلق بعقول المثقفين عن الوطن العربى ... ثم هى ايضا همسة فى اذن القائمين على أمر البرنامج الثانى فى ناحية المواد والاعداد عساهم يتفهمون الوضع الفكرى فى الأمة العربية ومدى تقدمه ومساهمته فى الفكر الانسانى على اختلاف فروعه .. فلنثق بانفسنا .. وكفانا ما مضى من عقد النقص التى خلفتها لنا يد المستعمرين !!

عبد الحليم عويس - المحلة الكبرى

***

الى الاستاذ دريني خشبه

.. ادرس يا استاذ مناهج كلية اللغة العربية وكليتى دار العلوم والآداب تجد أن للمسرحية مكانها فى مناهج الدراسة ، ورءوس الاساتذة ، وقاعات الدرس.. ستجد كتبا كاملة عن المسرحية . تاريخها وانواعها ، وأشهر كتابها فى القديم والحديث !

ولا شك انك تعرف أن الدراسة الجامعية تخطط، وتفتح الطريق ، وتهدى الى المراجع . وكتبك التى ترجمتها عن المسرحية فى سلسلة الالف كتاب وغيرها عن الاخراج كانت احدى المراجع الكثيرة التى هدانا اليها استاذ الأدب الحديث بالدار الاستاذ عمر الدسوقى .

بل ان للدكتور غنيمى هلال بكتبه الجادة ، ودراساته الهادفة للاجناس الادبية والنقد الادبى ، والادب المقارن لخطة ينتهجها طلابه فى الدراسة .

وهل تستطيع أن تغفل ياسيدى شعبة الفلسفة والادب والتاريخ ولكل منها دوره فى الدراسة الجادة للمسرحية !

وستسير دراسة المسرحية فى طريقها المرسوم ، وسيكون هناك كتاب مسرحيون ومخرجون ومصممو مناظر ، ولكن لا لأنهم درسوا المسرحية فحسب ، ولكن لان استعداداتهم ومواهبهم هى التى هدتهم الى ان يتجهوا هذا الاتجاه وأن يعمقوه بالدراسة !!

ومن الواضح أن كثيرا من كتاب المسرح ليسوا من دار العلوم ولا من الآداب ، لان المواهب لن تحصر فى طلاب هذه الكليات !!

ولقد عالج توفيق الحكيم المسرح الدينى فى أهل الكهف دون أن يدرس فى الازهر ، بينما أخفق مثلا العالم الأزهرى الشيخ كامل عجلان وهو من هواة التاليف للمسرح الدينى !!

يا سيدى ستستمر هذه الكليات فى دراسة الشعر والنثر الجاهلى لان هذا العصر لا يقل خصوبة عن عصر الاساطير الذى نحبه ونعجب به فى بلاد الاغريق القدماء .

محمد عبد المنعم خاطر

***

كلمة تحية وتقدير

يسرنى أن اتقدم بأخلص عبارات التهنئة والتبريك على اعادة ابراز مجلة الرسالة الغراء الى حيز الوجود وانه ليسعدنى حقا ان أقول انه لو اتيح لسيادتكم سماع همسات قلب كل قارىء عرف فضل مجلة الرسالة فى نشر كل ما يحبب الى النفس من علم وتربية وأخلاق وتاريخ وفن الخ مما فيه جلاء للذهن واطلاق للفكر ودفع للخير لامكنكم الوقوف على مدى محبة السادة قراء الرسالة لكم ولكتابها الأفذاذ .

وانه لخير دليل على ذلك وقوفهم صفا طوال المدة التى احتجبت فيها المجلة القيمة وكلهم أمل فى اعادة الارتشاف من معينها الذى لا ينضب ولو بعد حين . كما أن لهم فى حياة الاستاذ صاحبها الخير الكثير المرجو من اعادة اصدار مجلتهم الحبيبة حتى وفقه الله بتأييد وزارة الثقافة والارشاد القومى لها ، وآن للمجلة الظهور مرة أخرى فى ثوبها القشيب فاهتزت

لها القلوب فرحا وقرت بصدورها العيون وآتت أكلها كل حين .

وانى لأفخر بجهـــودكم القيمة فى اعادة ابراز المجلة الغراء نزولا على ارادة السادة القراء فى هـذا الوقت الذى نحن أحوج فيه الى نشر خير ما أنتجته الافكار والحث على أسمى معانى الخير والرحمة فى الدارين ــ أسأله تعالى أن يمتعكم بالصـــحة وطول العمر .

السيد الصباحى

***

سفور بعد احتجاب

لقد كان احتجاب الرسالة فى بدء الثـــورة مثار أسف وأسى !! وجاءت عودتهـــا بفضل الثورة بعثا لصالح العمل وخلقا لنور الامل فى مسايرة ماتصبو اليه آمال رجالها العظام لرفعة الامة العربية وتقوية شأنها واعلاء كرامتها ..

ولا زلنـــا يا صاحب الرسالة تذكر ارهاصاتك المتعددة لمبعث الثورة والتبشير بمولدها فى كلماتك المتعددة التى نذكر منهـــا (هبى يا رياح الخريف هبى ــ وتجلد ياقارون باشا ــ وآفة الرأى الهوى). ولا عجب فليس مثلك فى مصر من يجيد الابانة عن مساوىء الاقطاع والرأسمالية والملكية العاهرة ، اذ كان مسقط رأسك تحوطه هذه المساوىء جميعا !!

ان مجال القول فى هذه الشئون ياصاحب الرسالة ذو سعة وأنت أعلم بما فى قلبى من أحاسيس وشجون قد نعبر عنها فى كلمات تالية ، فطب نفسا وقر عينا بما آتاه الله عليك وعلينا وعلى الناس أجمعين وسلام الله عليك .

خورشيد عبد العزيز ــ الاسكندرية

***

حول بيت من قصيدة « شعلة الكفاح »

يقول الشـــاعر ابراهيم محمد نجا فى قصيدته « المنشورة بالعدد ١٠٢١ من الرسالة » :

ناصـــــــر الحق بالكفـــــــاح
جمـــــال الشرق ... الخ
يمنح الشـــــعب ما يريد
ولا يأخـــذ شيئا لقلبه المتـــاح

ويبدو جليا ما يعنيه البيت ، لقـــد فرق الشاعر ــ بكلمة يمنح ــ بين الرائد الثائر وبين شعبه ، فجعل الانتصارات الثورية منحة من القائد لشعبه !

وهذه فكرة خاطئة ساذجة معا ، تذكرنا بالعهود البائدة التى تخلصنا منها الى الابد .. وبشعراء تلك العهود ، وما يزال عالقا بالاذهان من ان أول دستور مصرى ، كان منحة من الملك !

وبالرغم من انه واضح من القصيدة أن الشـــاعر لم يعش التجربة الثورية فى أعماقه ، قبل أن يعبر عنها ، تعبيرا شعريا ، يرتقى الى مستواها ؛ فانه من الاوضح ان الشاعر لم يدرك تماما الفقرة الثالثة من الباب الاول من الميثاق :

« وتمكن هذا الشـــعب بصدقه الثورى ، وبارادة الثورة العتيدة فيه ، أن يغير حياته تغييرا أساسيا وعميقا فى اتجاه آماله الانسانية الواسعة » :

بقيت كلمة اود أن أقولها للشاعر : ان الميثـــاق كتب نثرا !

محمد محمود شمس
مؤسسة الصوامع والتخزين

***

من لبنان

الرسالة عادت من جديد . ورحت ازف البشرى الى الاصدقاء ناقلا اليهم البشر والحبور للحـــدث الفريد ، كنت أقول لهم : تصوروا .. رقم العـــدد استمرار للسلسلة نفسها .. الاستاذ الزيات هو نفســـه .. حتى لون الغلاف البنى هو نفسه ؛ نعم هكذا استقبلنا الحدث .

وبعد ، فاننى لاتساءل عن سر هذا الوقع السحرى الذى تركته عودة الرسالة فى النفوس مع وجـــود هذا الفيض اللامتناهى من المجلات الاســـــبوعية والشهرية والفصلية فى الاسواق . وجلاء هذا السر يكمن فى كون الرســـالة مجلة الأدب الرفيع فهى المجلة التى ترفع الجماهير اليها ولا تنحدر اليهم .

اننا لانزال نستشعر الحنين الى مقالات الاستاذ الزيات الطلية ودراسـات احمد زكى لقصة الميكروب ولابحاث ابراهيم مدكور فى الفلسفة العـــــربية ولتعريفات محمد عبد الله عنان بالمؤرخين العـــرب وآثارهم ولعرض دربنى خشبه للميثولوجيا الاغريقية وللفلسفة الالمانية كمـــا أرخ لهـــا خليل هنـــداوى ولاسبوعيات المازنى ورحـــلات عزام وتصـــــوف الرافعى .

نعم هذه هى الرسالة التى ملكت مشـــــاعرنا وقلوبنا لنتبادلنا التهانى فى يوم بعثها على أمل ان يكون لنا فيها دفع ثورى جديد بيسر وجود مجتمع عربى مثقف بميسوره تحقيق الوحدة والاشتراكية .

حمزة الطفيلى
بعلبك ــ لبنان

أخبار علمية وأدبية

● يصدر اليوم العدد التاسع من سلسلة تراث الانسانية ، التى تتناول بالتعريف والبحث والتحليل روائع الكتب التى اثرت فى حياة الانسانية . هذه السلسلة تصدرها وزارة الثقافة والارشاد القومى . ويشرف عليها : الاستاذ العقاد ، والدكتور زكى نجيب محمود والاستاذ ابراهيم زكى خورشيد والدكتور عبد الحليم منتصر ، والاستاذ على ادهم ، والاستاذ ابراهيم الابيارى .

● كلمتان فقط طبعتا بمداد مختلف فى دائرة معارف ضخمة تتالف من ٣٠ مجلدا ، ولكن جهازا جديدا استطاع ان يحدد مكانهما فى تجربة اجريت لاختبار مدى حساسية الجهاز فى تمييز مثل هذه الحالات . وقد ابتكرته احدى الشركات الامريكية لاستخدامه فى الفضاء ودراسة طبيعة الكون .

وهو يصنع عادة من مادة الكوارتز التى توجد بكثرة فى رمال الصحراء . وقال احد الخبراء : ان التوسع فى استخدام هذا الجهاز سيؤدى الى اكتشاف كثير من اسرار الكون وطبيعة المادة فى الفضاء .

● تتجه الدوائر المسئولة فى وزارة المعارف الليبية الى اصدار مجلة ادبية . قد تشرف عليها الجامعة الليبية . بعد ان اصدرت الجامعة الاسلامية هناك اخيرا مجلة دينية اطلق عليها (هدى الاسلام)

● تقرر انشاء اكبر منظار فلكى فى نصف الكرة الجنوبى . وسيكون قطر عدسته ١٤٠ بوصة وتبلغ نفقاته ٨ مليون دولار وينتظر اتمامه فى عام ١٩٧٠ .

وستتولى الانفاق على انشاء هذا المنظار خمس دول اوروبية : هى هولندا ، وبلجيكا ، والمانيا الغربية ، وفرنسا ، والسويد . ولم يتقرر بعد مكان انشائه ولكن الخبراء يفضلون شيلى او جنوبى افريقيا ، فمنهما يمكن دراسة الكون المواجه للنصف الجنوبى للكرة الارضية بطريقة افضل .

● يدرس مائة طالب وطالبة فى قسم الدراسات الاسلامية فى جامعة كاليفورنيا للحصول على درجة الماجستير والدكتوراه . ومما يؤسف له ان معظم المهيمنين على الدراسات الاسلامية فى الجامعات الامريكية من المستشرقين اليهود .

● اكتشفت فى العراق وثيقة زواج قيل ان عمرها ٤٠٠٠ سنة . وهى مكتوبة على لوحة من الحجر ، وتقول نصوصها .. ان الرجل المسمى (بوزدر هايا) قبل الفتاة المسماة (أومارتوم) كزوجة له وكان الشاهدان (اوردامو زيدا بولانى ابن ادرم) واولدوجا بن اوردامو زين)

● « الوفا باخبار المصطفى » عنوان كتاب من التراث الاسلامى لابن الجوزى ، تطبعه لاول مرة دار الكتب الحديثة بعابدين ، ولقد اعتمد الاستاذ مصطفى عبد الواحد فى ضبط الكتاب على مخطوطتى تيمور ودار الكتب العربية ، وقام بمراجعته الشيخ محمد الغزالى .

● ابتكر مخترع المانى منظارا يرى ما فى الخلف ويبين لسائق السيارة ما يجرى وراءه وذلك ليوفر على قادة السيارات متاعب استخدام المرايا .

وقال : ان منظاره قادر على كشف كل شيء خلف السيارة ، بخلاف المرآة التى تبين جزءا ، وينحجب عنها آخر . وهو كذلك افضل من المرآة التى ينعكس عليها وهج المصابيح القوية من السيارات الخلفية فيؤثر على عينى السائق ومن الجائز ان يمنعه من الرؤية .

● يصدر قريبا كتاب (الاخطاء الشائعة فى الفاظ العلوم الزراعية والنباتية) للعلامة الامير مصطفى الشهابى رئيس المجمع العلمى العربى فى دمشق .

● تمكن خبراء استراليا من تقليل تبخر مياه الخزانات والبحيرات بمعدل ٥٠٪ باستخدام مادة اسمها (سيتيل) ورش نثارها بطريقة نظامية على سطوح المجارى المائية .

ومن المعروف ان الجانب الاكبر من استراليا صحراء جرداء بسبب نقص كميات المياه فيها . ولهذا يجرى الخبراء مجموعات من البحوث لانزال ماء المطر بالوسائل الصناعية كما يعملون على منع تبخر ما يوجد لديهم من الماء .



الدار القومية للطباعة والنشر